عالمية طريق نهضة

المختار الإسلامي

مجلة شهر المسلمين

عدد ١٩٣ - السنة ٢٠ - ١٥ رمضان ١٤١٩ هـ - ٣ يناير ١٩٩٩ - الثمن جنيهان ونصف

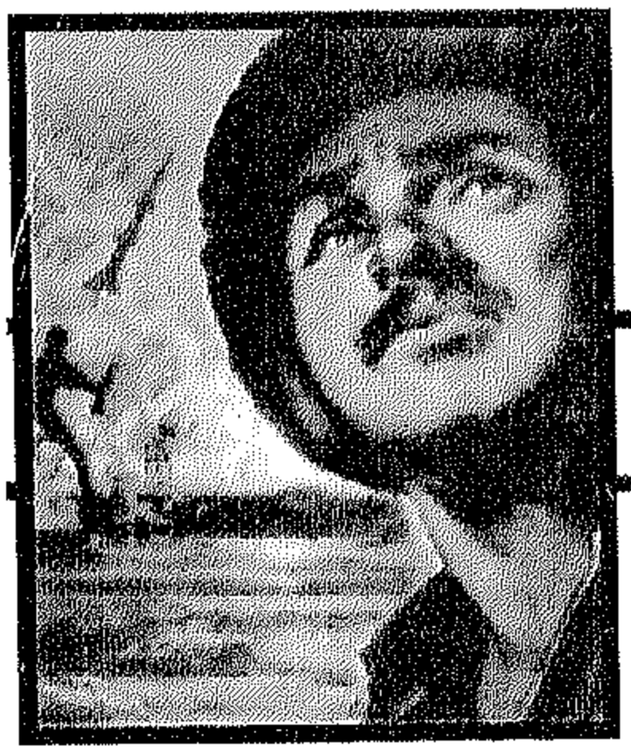

رمضان شهر الانتصارات

- المختار الإسلامي عميلة من عملاء الإسلام
- عشرون عاما من النضال ١٩٧٩ - ١٩٩٩
- عشرون عاما في خدمة الله

المختار الإسلامي

رائدة البيان القرآنى

● رحمها الله تعالى، رحمته لعباده الصالحين، من العلماء العاملين، والمؤمنين الصابرين والصديقين والشهداء، امين

● «بنت الشاطئ» عائشة هاشم محمد على عبد الرحمن التى كما جاء اسمها كاملا فى حجة وقف اهلى أستاته فى ٢٤ من المحرم ١٣٧١ هـ الموافق ١٩٥١/١٠/٢٥، هى رائدة نساء العرب فى هذا العصر، لا ينازعها فى هذه المكانة أحد من النساء

● رابطت أكثر من نصف قرن فى الموقع الفكرى العربى الإسلامى ترد عن دينها، وكتاب ربها، وسنة نبيها، ولغة قرآنها، وثقافة أهلها، عدوان العادين، وافتراء المفترين، وضلال الجاهلين

● وكتبت، من خلال هذا الرباط المتواصل، اسمها بحروف من نور لا يخبو فى قائمة العلماء القائمين على العناية بالقرآن الكريم بمؤلفاتها الرائدة فى التفسير البيانى للقرآن، وفى إعجازه البيانى، وفى دراسة التوجيهات الإنسانية فى الكتاب الكريم، وفى مناقشة اتجاهات التفسير العصرى له

● وتبغلت مكانا بارزا فى قائمة علماء السيرة النبوية بكتبها عن النبى صلى الله عليه وسلم فى عصر المبعث، وعن نساء النبى صلى الله عليه وسلم ، وعن سيدات بيت النبوة

● ثم جددت صلة الناس بعلوم الحديث بتحقيقها مرتين لكتاب مقدمة ابن الصلاح ومعه كتاب محاسن الاصطلاح للبلقينى، واستغرق تحقيقها الثانى لهما «عشر سنين دأباً» كما تقول فى مقدمته

● ووقفت عقودا متتالية من السنين على القمة، مشاركة أستاذنا الجليل الراحل العظيم محمود شاكر، ثم منفردة بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، فى علم تحقيق النصوص اللغوية والأدبية، ولو لم تصدر فى هذا الباب سوى رسالتى «الغفران» و «الصاهل والشاحج» لأبى العلاء المعرى لكفتاها لتحتل هذا الموقع السامق فى جيل كامل من المحققين للنصوص العربية

● وفى مقدمتها لرسالة «الصاهل والشاحج»، وهى نص تاريخى لغوى أدبى صنعه أبو العلاء على لسان فرس وبغل، حملة تحقيقات تاريخية مهمة صوبت بها بعض أخطاء كبار المستشرقين، وبعض أخطاء أستاذها وأستاذ جيلها الدكتور طه حسين ، تصويباً يسلكها فى عداد ثقات المؤرخين

● وفى رباطها الفكرى لم تكتف رائدة نساء العرب المعاصرات «بنت الشاطئ» بالبحث والكتابة والعكوف فى غرفة مكتبها التى تفوح بعبق ميراثها الغنى من مكتبات ابيها وجدها وزوجها وأستاذها العالم الشيخ امين الخولى، بل جمعت إلى ذلك الطواف بأنحاء المعمورة من ادناها إلى اقصاها، داعية ومحاضرة ومعلمة، تعطى اطيب صورة واجملها واصدقها عن الدين الذى تنتمى اليه، والثقافة التى تحمل لواء العلم بها، والعمل لها وحين استقر بها الموقع العلمى، استاذا للدراسات القرآنية العليا بجامعة القرويين بالمغرب، انشأت مدرسة كاملة من الباحثين المحققين الأعلام، كلهم مدينون لها بفضل التعلم عليها، والأخذ المباشر عنها

● واكتئب بنت الشاطئ، فى حياتها بفقد الأحبة فقدت أباها وزوجها وابنتها وابنها . فصبرت صبرا يندر أن يكون له مثيل، وكانت تعانى من هذا الصبر كمدا دائماً فى القلب، والما متجددا فى الوجدان، وبكت كما تبكى الثكلى فى كل مرة، ولم تقل الا ما يرضى الرب فكانت بذلك ـ بإذن الله ـ فى عداد الذين وعدهم الله تبارك وتعالى وعد الصدق بقوله «إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب»

● وتذكر لها، فى حياتها، من كان ينبغى لهم الوفاء، ويتوقع منهم العرفان بالجميل، ولم يرحم بعضهم لوعتها فى أشد ساعات حزنها حدثتنى عن ذلك غير مرة فقالت «كنت كالمذبوحة ذرف دماً لا دمعاً، فلم يرحمونى، وحملونى مكرهة على ما ارادوا، وأنا احتسب عند الله ذلك فليس بعد فقد من فقدت من الأحبة شىء من الدنيا يحزن عليه» وصبرت لذلك ايضاً صبرا جميلا، ولا اظنها حدثت به أحدا سواى هكذا تقول لى كلما ذكرت أمر هذه المحنة القاسية التى أكرهت على خوض غمارها

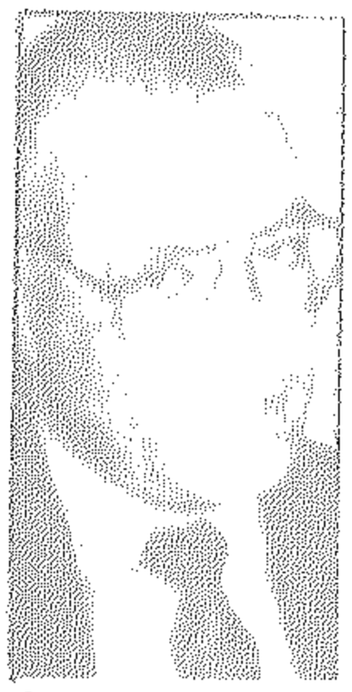

● إن هذه السطور ليست ترجمة لسيختى وأستاذتى ـ وأمى بعد أمى ـ عائشة عبد الرحمن، ولا رثاء لها، ولكنها دمعات حرى لفراقها، واثق بمكانها عند ربها، وهو واحد من الملايين الذين يتضرعون بالأسى لخلو مكانها فى ساحة الرباط الفكرى الاسلامى عوض الله تلامذتها ومحبيها صبرا جميلا على الفراق، ورضاً صادقاً بالقضاء وإنا لله وإنا إليه راجعون

د. محمد سليم العوا

السلام عليكم

المختار الإسلامي عميلة من عملاء الإسلام

عشرون عاما في خدمة الله

عشرون عاما من النضال

عشرون عاما من الجهد والجهاد والبلاء والصبر ، عشرون عاما من الوعي والثورة والتحريض علي الخير وبناء المنهج، كلمة طيبة مثل شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، نعم .. شجرة طيبة مباركة تعطي ثمارها مع اكتمال البدر في كل شهر عربي، ينتظرها هؤلاء المستبشرون بالفجر الجديد، والراغبون في التغير علي هدي القرآن والسنة والمتشوقون لعلامات وملامح الوعي والمنهج.

عشرون عاما من الصبر والبلاء، مع الإمكانيات المتواضعة، والطموح الخلاق، مع مصادرة والعودة، مع مصادرة المطابع، والترحال المستمر من مكان إلي مكان .. لم تسقط راية " المختار الإسلامي " في مستنقع المادة أو إرضاء الحكام وانحازت دائما إلي عموم الأمة ومنهجها الثابت رضي من رضي وغضب من غضب.

ولا يزال العهد مستمر بإذن الله، لن توقفه مؤامرات البعض أو حسد البعض الآخر، أو شظف العيش، لأن وراء المختار الإسلامي قراء واعون وكتاب رساليون وإدارة لا تتطلع إلا إلي الله تعالي.

وبقي شيء : نحن نتوجه بكلمتنا هذه إلي الذين يتناولوننا بألسنة حداد فنقول لهم: لسنا شهود زور أو بهتان أو طلاب منصب أو جاه.. ولسنا ممن يروجون الأكاذيب أو يدعون إلي هزيمة.. كما أنه لا تربطنا صلة بأصحاب الأقلام الملوثة الذين يأكلون علي كل الموائد ثم يوزعون كلمات النفاق..

نحن أصحاب الكلمة الطيبة والرأي الصادق والموقف الثابت الأمين نحاول قدر جهدنا تصحيح مسار التاريخ والجغرافيا نملك مشروعا لتصحيح التاريخ الذي لوثه الغرب الفاجر وعملاء العلمانية .. وإننا نبرأ إلي الله من الفئة الباغية الضائعة والذين تحولوا إلي سبايا للإعلام اليهودي كما أننا لسنا صبيانا لدهاة العالم الصليبي ولا نعمل لحساب أبناء صهيون ولسنا مسلمين لهم صفات صليبية أو ماسونية.. وإنما نحن وبحمد الله دعاة لفضل ورحمة لحمل مبادئ السماء لا روث الأرض أو كلأ البهائم والأغنام ولسنا كالسوائم الذين يأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوي لهم. نحن أحباب محمد وأبناء محمد ورثة القرآن وحماة الإسلام هذا نحن فمن أنتم ؟؟!!

حسين عاشور

عشرون عاما من النضال

ظهرت المختار في رحم النضال الإسلامي في السبعينيات وفي داخل هموم الجيل المسلم القابض علي جمر قضية الوطن المسلم الذي كان ومايزال مستهدفا بالغزوة الصهيونية الصليبية العلمانية. وليس هذا وقت تفاخر بنضال وتضحيات في زمن تزداد فيه الهجمة شراسة وتطيح بالمقدسات وبالشعب وسط رفع رايات الكذب والتضليل ولكنه وقت التذكير بسطور من سجل مشرف في المجد.

المختار كانت وماتزال صوت القوة الإسلامية بلا تراجع ولا التفاف أو مرواغة أو مناورة لسبب بسيط هو أنها مستقلة تمام الاستقلال ولا تخضع لحساب الخوف والرجاء و(كسر العين) من هنا أو هناك. احترمها خصومها قبل أصدقائها لهذا الاستقلال والجرأة وصارت عندهم حتي وهي مكروهة رمزا لعمل وطني شريف ونظيف ومخلص. فتحت المختار الأبواب العديدة لتيارات جديدة في الفكر والكتابة الإسلامية. ودعنا من الأصوات الجديدة التي انطلقت منها والتي صنعتها ولكن لنتكلم عن الخروج من القوقعة المعروفة والضيقة سجنت داخل أساليب لغوية بالية. لنتكلم عن الانفتاح الواثق والفاهم علي أوسع مساحات الأحداث والفعل في العالم. لنتكلم عن متابعة شاملة لا تكل لكل أوضاع المسلمين من إندونيسيا إلي أمريكا ومن الشمال إلي الجنوب. لنتكلم عن تحليلات سياسية حادة ونافذة لجمل وتفصيل الأوضاع المصرية الداخلية دون تراجع أمام مقدسات ومحرمات وهمية أرستها دوائر معينة تعلدي الدين والشعب. لنتكلم عن مقابلات مع رموز الحركة الإسلامية ليس في مصر

وحدها ولكن في كل أنحاء العالم. لنتكلم عن مناصرة عظيمة للقضية الفلسطينية منذ كامب ديفيد ـ قبل صدور المختار بعلمين ـ وحتي الآن ومعها مناصرة القضايا الإسلامية في كشمير إلي إيران إلي تركيا إلي الفليبين إلي أفريقيا وأخيرا في البوسنة وكوسوفو. لنتكلم عن طرح مفاهيم بل ومصطلحات جديدة صارت الآن تمثل عصب فكر الحركة الإسلامية.

وقبل كل شيء لنتكلم عن تضحيات من سقطوا وهم يقدمون العطاء للمختار ومنهم الدكتور فهمي الشناوي. المختار هي شهادة حق في سبيل الله وسيف وقلم أشرع في سبيله وحصن وقلعة للإسلام وفرقة مجاهدة وقفت في خطوط الدفاع عن الأمة والهجوم علي أعدائها وما أكثرهم.

طيلة هذه السنين لم يسقط السيف ولا القلم ولن يسقطا بإذن الله بل خاضت المختار معاركها مع جبهات عديدة وخرجت منتصرة رافعة الرأس بفضل إيمانها بربها ودينها وخرجت ومعها قراؤها الأوفياء الأعزاء الذين يعود إليهم فضل كبير في قوة وجرأة واستقلالية هذا العمل الإسلامي في زمن المحنة والفتنة والهجمة وطلائع المسيخ الدجال. ولكن هناك كلمة واحدة تقولها المختار:

سينتصر الإسلام بإذن الله رغم كل شيء. فالصمود حتي النصر وليحل العار بالخونة والمرتدين.

د. محمد يحيي

عشـــرون عامـــا من النضـــال

مثل الحارس الأمين علي ثغور الأمة، كانت ولا تزال مجلة المختار الإسلامي، لا تهدأ ولا تكل ولا تمل، تتابع وتحلل، وتواكب الأحداث وتعطي للقارئ المسلم زادا مباركا من العلم والمعرفة وامتلاك المنهج الصحيح عشرون عاما من المواجهة، والمعارك، والابتلاءات والصبر والاستثمرار رغم كل شيء. وهو في حد ذاته إنجاز رائع علي أكثر من مستوي.

لا يصدق البعض أن تلك المجلة العملاقة، التي هزت الدنيا ولا تزال والتي وقفت شاهدة دائما علي الأحداث العظمي في تاريخنا الإسلامي المعاصر, لا تمتلك أحيانا قوت يومها، وأحيانا أخري لا تجد مكانا تخرج منه أو تخرج من هذا المكان المتواضع أو ذاك حين يظن البعض أن عملا مثل هذا العمل المتميز وراءه مؤسسات ضخمة ومبان شامخة وأجهزة حديثة، والحقيقة أن الكفاح المرير مع الصبر شرط للصدق ولهذا التميز الفذ الذي كان ولايزال علما علي المختار الإسلامي.

المختار الإسلامي تلك المجلة التي عرفت منذ اللحظة الأولي أين تقف، في خندق واحد مع عموم الأمة ، مع قواها الحية مع المستضعفين، والتي اتخذت الموقف الصحيح دائما .. تلك المجلة التي نشأت عام ١٩٧٩ وواكبت وقتها أحداث الثورة الإسلامية في إيران، ووقفت مع الثورة حين كان الوقوف مع الثورة الإيرانية ذا ثمن باهظ أمنيا وسياسيا وخليجيا، واختارت أن تدفع الثمن، لا أن تقبض ثمن خيانتها لأحلام الأمة، والدخول في مستنقع مناهضة الثورة لحساب الأمريكان الذين راحوا يبعثرون ذهب المعز وسيفه هنا وهناك. اختارت المختار الإسلامي دائما الموقف الصحيح، مع الثورة الإيرانية متابعة وتحليلا وتعميقا، مع الكفاح والجهاد الأفغاني حين كان خالصا لوجه الله، فلما حدث قتال الإخوة في أفغانستان قدمت النصح لوجه الله وقالت فاز الشهداء وسقط الباقون في الفتنة " هداهم الله ووفق

طالبان إلى ما يحب الله ورسوله وكتب لم الشمل شمل المسلمين الأفغان على يديهم ونصر الشعب الذى لم يهزم .. آمين ".

وقفت مع الثورة الإيرانية في وجه الحوب الظالمة التي شنها عليها صدام حسين، فلما عاد صدام حسين وهاجم الكويت قالت المختار الإسلامي إنه الصنم الذي افترس عباده وهم له ساجدون، ووقفت أيضا ضد التواجد الأمريكي في المنظمة دون أن تتورط في دعم نظام صدام الفاشي وكان ثمن هذا أن المختار الإسلامي منعت من دخول الدول العربية المؤيدة لصدام والمناهضة لصدام في نفس الوقت.

المختار الإسلامي التي قدمت الزعماء الأفذاذ والكتاب الفطاحل .. قدمت فتحي الشقاقي مفجر الثورة والانتفاضة وخط الكفاح المسلح الإسلامي الفلسطيني، هذا الفتي الفذ هو أحد أبناء المختار الإسلامي التي فتحت صفحاتها له ولزملائه أحمد صادق ورمضان عبد الله وغيرهما لتقديم الرؤية الفلسطينية الإسلامية المجاهدة.

وإذا كان فتحي الشقاقي قد ولد سياسيا في المختار الإسلامي فإن هذا كان تعبيرا عن اهتمام المجلة غير المسبوق بالقضية الفلسطينية حيث استطاعت المجلة أن تقدم المنهج والأسلوب الصحيح للمواجهة، وتحدد طبيعة المجتمع الصهيوني وطبيعة الصراع، وأن تقدم الملامح التاريخية ثم المستقبلية لهذا الصراع من خلال مقولاتها الفذة مثل من بني قينقاع إلي كامب ديفيد، ومن خلال الشعار الجبار والاستثنائي الذي أصبح علما علي النضال الإسلامي والفلسطيني المعاصر ألا وهو شعار "القضية الفلسطينية هي القضية المركزية للأمة الإسلامية"

واكبت المختار الإسلامي كل تطورات الصراع مع الكيان الصهيوني ورفضت دائما مشاريع الاستسلام المسماة بمسيرة السلام وحذرت من كل ما حدث برؤيتها المتجاوزة وأكاد أقول إنها استشفت كل ما حدث بعد ذلك وحذرت منه.

وقفت المختار الإسلامي ضد التطبيع مع الكيان الصهيوني وكانت أحد أهم الأدوات التي شاركت في تحجيم هذا التطبيع وتقليل آثاره.

ولم تكتف المختار الإسلامي بهذا بل كانت تقدم دائما موضوعاتها المنهجية لاثراء القضايا الإسلامية الحية والمثابرة علي الواقع بعد أن تضع لها التحذير والتأصيل الإسلامي.

واستطاعت "المختار الإسلامي" أن تقدم ملامح ومعطيات المشروع الحضاري الإسلامي، وأن تعيد كتابة التاريخ الإسلامي المعاصر بمنظور يعطي الثقة في المستقبل ويصحح الأخطاء المنهجية التي تعمد البعض أن يسقطها عليه لسحبه من الوعي العربي والإسلامي وهكذا أعادت المختار الإسلامي الاعتبار للدولة العثمانية المظلومة والمفتري عليها وكذلك أنارت وعي الأمة برموزها أمثال عز الدين القسام وعمر المختار والأفغاني والنديم وعبد القادر الجزائري وحسن البنا..

وكانت "المختار الإسلامي" من أول الذين التفتوا لموضوع حرب المياه وحذرت منه مبكرا في عام ١٩٧٩ واعتبرت أن ذلك الموضوع سيكون عل أجندة الاهتمام الدولي والإقليمي كما حذرت من مشروعات مد المياه لإسرائيل عن طريق سيناء وظلت "المختار الإسلامي" في خندق الدفاع والدعوة إلي وحدة الأمة، وإبراز قيمها الصحيحة مع الحرية والوحدة والجهاد والاستشهاد، وقدمت دائما رموز الجهاد والاستشهاد ودافعت عن حريات الشعوب وناهضت القمع والتعذيب ودعت إلي إطلاق حرية العمل الإسلامي كضمان أساسي لنزع فتيل العنف والصدام، واعتبرت دائما أن العنف حق مشروع لأبناء الأمة طالما كان موجها إلي صدور أعدائها "إسرائيل بالتحديد" وليس إلي صدور بعضنا البعض، علي أساس أن هذا نوع من الكفاح الوطني المسلح والمشروع، ووقفت " المختار الإسلامي " مع ثورة الإنقاذ بالجزائر وكشفت العسكرتيريا والتي تستمد قوتها وجبروتها من باريس عاصمة الاستعمار القديم والحديث.

ووقفت "المختار الإسلامي" بالطبع وقفة متميزة مع ثورة الإنقاذ في السودان، ودعت دائما إلي وحدة الشعبين المصري والسوداني علي أساس أن هذا فريضة شعبية، ودعت إلي تنسيق الجهود بين حكومتي البلدين مهما كانت هناك من خلافات تكتيكية بينهما علي أساس أن توتر العلاقات بين البلدين أيا كان سببه يصب في مصلحة الأعداء المتربصين بمصر والسودان معا.

تحية إلي المختار ورجالها في عيدها العشرين ووقفت المختار مع حزب الرفاه وناصرته فى كل المواقف حتى وصل إلى سده الحكم لولا خبث العلمانية ومؤمرات الغرب ودسائس الماسون. ولكن يظل الرفاه هو الحزب الواعد العائد بإذن الله لإحياء الخلافة العثمانية الثانية تحت مظلة الإسلام دين الله وهوية الأمة التركية ..

د. محمد مورو

عشرون عاما من النضَال

بلغ المختار الإسلامي العشرين عاما من عمره المديد إن شاء الله في طاعة وخدمة الإسلام.. العقيدة والشريعة ونظام الحياة الذي أنزله الله علي رسوله عليه الصلاة والسلام من أجل سعادة وهناء وأمن وراحة الناس في الدنيا والآخرة.

والعشرون عاما التي قضاها المختار من عمره المديد إن شاء الله كانت ضمن فترة من أخطر وأهم الفترات في الحياة السياسية المصرية.. فترة عصفت فيها الأحوال والأوضاع والتطورات بكثير من الأقلام الإسلامية من خلال قانون جائر للصحافة.. أنهي رحلة مجلتي الدعوة والاعتصام.. فكانت المختار ولازالت النافذة التي أطل ويطل منها أصحاب هذه الأقلام علي العالم.. وأيضا ومن خلالها وعلي صفحاتها يعرضون أفكارهم لتتواصل المسيرة وتمضي القافلة نحو هدفها علي دربها.. كما كانت ولازالت همزة الوصل وحلقته المتينة بين الدعاة الذين مضوا بعد رحلة جهاد شاقة. لم يتطرق اليأس إلي قلوبهم.. ولكن ظل الأمل يعمرها ، كما ظل الجهد يبذل من أجل تحويله إلي واقع ملموس يري فيه الناس الإسلام علي ساحة العمل والتطبيق والتنفيذ.. وبين الدعاة الذين أتوا من بعدهم يحملون الراية علي نفس الدرب ويرجون تحقيق نفس الأهداف النبيلة والغايات العظيمة ويسطرون علي صفحات المختار الفكر والرؤية ليستمر التواصل وتستمر الرسالة وتظل علاقات وملامح المسيرة الإيمانية علي ساحتنا العربية والإسلامية تضيء السبل وترشد الحائرين.. وتنبه الغافلين وتجدد العزم والحسم في نفوس وقلوب العاملين..

تحية إلي المختار في عيده العشرين.. مع دعوات إلي الله عز وجل أن ينفع به وبالقائمين علي أمره وأن يبارك في الخطوات والجهود وأن يحقق الأهداف والغايات.

تحية إلي المختار وأخوات المختار العاملات ودعوات أن يفك الله أسر شقيقاته المأسورات وأن يرزقه الله بأشقاء وشقيقات على مدار الأيام والأسابيع والشهور.

عبدالمنعم سليم

عشرون عاما من النضال

تحيـــــــة عطـــــرة

حلم كان يؤرقني هـــو كيفيـــة أداء رسالتي الإسلامية من خلال القلم وحينما دخلت عالم الصحافة (من باب بعـــض الصحف الحزبيـــة) صدمـــت ببعـــض الشعارات الزائفة وكثير مـــن الذيـــن يقولون مالا يفعلون.. وكنت علي وشك التراجع، حـــتي يســـر الله لي المختـــار الإسلامي. وصار الأمل الذي تمنيته واقعا ووجدت في المختار الإسلامي الأســـرة المســـلمة.. الأب والاخـــوة ومـــداد الكلمات الحرة المحترمة لآلام المســـلمين وأوجاعهم، مارست أحيانا الكتابـــة في بعض الصحف الإسلامية كـــان دائمـــا معيار النشر فيها لخدمة رؤيـــة أحاديـــة للعمل الإسلامي بعيـــدا عـــن شموليـــة الإسلام وهموم المستضعفين .. لم أحـــس ولم أمارس حريتي إلا علـــي صفحـــات المختار الإسلامي التي كانت دائما منـــبرا لكل تيارات الصحوة الإسلامية (إخـــوان مسلمين) جماعات إسلامية، جمعية شرعية سلفيين، أنصار سنة.. إلخ..تحت شـــعار مجلة كل المسلمين وعلي مدي أكثر مـــن ١٢ سنة هي عمري في مجلـــة المختـــار الإسلامي استوعبتني وسعدت بها وبأهلها ودعائي لها في عامها العشرين أن تدوم في خدمة الإسلام والمسلمين ويطول عمـــر القائمين عليها وجزاهم الله عن المسلمين خير الجزاء.

د. ليلي بيومي

عشرون عاما من النضال

المختار في عيونهم

في هذا الشهر من هذا العام تمر عشرون عاما علي مجلة المختار الإسلامي:

فماذا حققت؟ وما هو تقويم الكتـــاب والمفكرين لمجلة المختار الإسلامي:

يقول الكاتب الصحفي أحمـــد بهجـــت نائب رئيس تحرير جريدة الأهرام : عام آخر وتبلغ مجلة المختار الإسلامي سن الرشـــد : نتمني أن تصل إلي سن الكهولة وهي لاتزال في حيوية الشباب لتسد فراغا علي الســاحة من خلال كلماتها الجريئة الشجاعة وتدقيقها في اختيار الموضوعات .. فمجلـــة المختـــار الإسلامي وهي واسعة الانتشار تمثل شـــهادة حقيقية علي العصر .ويقول الدكتور محمـــد سليم العوا المفكر الإسلامي وأستاذ القانون: مجلة المختار الإسلامي تسد فراغا مهما علـي الساحة الإسلامية والإعلامية لأنها تتســـم بالرزانة المنصفة التي يحتاج إليها القـارىء في

حسين عاشور

د. محمد يحيى

د. محمد مورو

أحمد بهجت نائب رئيس تحرير الأهرام

د. محمد سليم العوا

الكاتب الصحفي حازم غراب

د. عبدالودود شلبي

د. محمد عمارة

المستشار طارق الشري

جريدة الأهرام

د. ليلى بيومى

عبد المنعم سليم جبارة

الإسلاميين بما تقدمه من تحليل وآراء وأفكار.

أما حازم غراب الكاتب الإسلامي فيقول: للمختار الإسلامي معزة خاصة جدا لدي نفسي منذ ولادتها حيث كنت مسئولا عن متابعتها من قبل وزارة الاعلام في أواخر السبعينيات ومنذ العدد الصفر . وفي كل مرة كنت أنتظر أعدادها بلهفة شديدة.. فقد وجدت فيها جرأة لم تكن معهودة وشبابية ونوع جديد من الصحافة الإسلامية من حيث الشكل ومن حيث المضمون وأزعم أن جيلا أو أكثر قد ارتوي من الثقافة الإسلامية من خلال هذا المعين العذب وماتزال أجيال جديدة صاعدة تنتظر من هذا النبع المزيد وبصفة خاصة بعد تغييب "الدعوة" و"الاعتصام" وإطلاق العنان لكل غث ومضلل من الصحافة الصفراء والحمراء والعلمانية وفي الحقيقة فإن المرء ليحزن علي أغنياء المسلمين لأنهم ينأون بأنفسهم وبإعلاناتهم عن هذا النبع الصافي.

إن ظهور مجلتي هاجر وزمزم بعد الظروف والمحن التي تعرضت لها المختار الإسلامي مرة ثانية يمثل بالنسبة لي أملا في امتازت به من تميز منذ بدايتها.. إنني أعتز بكل كتاب ومفكري المختار الإسلامي والدماء الجديدة التي تتواصل بهمة مع المختار الإسلامي.

يقول الدكتور عبد الودود شلبي العالم الأزهري:

عندما ننظر إلي الغلاف الخارجي لمجلة المختار الإسلامي نجد هذه العبارة (المختار الإسلامي مجلة كل المسلمين) وهذه حقيقة لايمكن انكارها عند تقويم هذه المجلة. فهي مجلة كل المسلمين فعلا إنها أشبه "ببانوراما" صحفية ننظر من خلالها إلي العالم الإسلامي كله.

علي مدي عشرين عاما لا أذكر أن فاتني عدد واحد من هذه المجلة. وكم عانيت كثيرا في البحث عنها عند متعهدي الصحف. ففي أحيان كثيرة لا أجدها في الحي الذي أقيم فيه بينما يسمي هذا الحي "حي الصحفيين". وهي مفارقة عجيبة أن لاتصل مجلة صحفية إلي حي يحمل اسم الصحفيين.

في مقدمة المقالات التي أحرص علي قراءتها مقالات الدكتور فهمي الشناوي هذا الطبيب الذي كان موسوعة إسلامية

يستأصل بمشرطه الأورام الخبيثة من جسم الأمة. وإن كان يجري هذه الجراحات علي صفحات هذه المجلة بالقلم لا بالمشرط.. والدكتور محمد يحيي أمد الله في عمره وبعبارة أدق (هذا الراصد) لاتغيب عنه شاردة ولا واردة فيما يقع في مصر والعالم الإسلامي، إن تعليقاته الشهرية علي صفحات هذه المجلة تغني عن قراءة عشرات المجلات والصحف وتكشف الأمراض والعلل التي تنخر في البناء الإسلامي وتعرضه للخطر أو الموت.

والدكتور محمد مورو رئيس التحرير المايسترو الذي يجعل من هذه المقالات وهذه البحوث (معزفة) تنبض علي كلماتها وحروفها قلوب المسلمين بالأمل والمستقبل .

وشكرا للدكتورة ليلي بيومي رئيس تحرير مجلة هاجر .

أما حسين عاشور فأمسك بالقلم عن الكلام عنه فحسبه أن يكون قائد هذه الكتيبة التي لم تخضع لاغراءات هذه الدنيا الزائفة وبقي في مكانه صامدا يدافع عن الحقيقة وعن الحق وعن الكلمة المؤمنة في بحر الظلمات الذي يعيش فيه المسلمون

يقول الدكتور محمد عمارة المفكر الإسلامي ــ مجلة المختار الإسلامي تمثل لونا متميزا بين المجلات الإسلامية فهي مجلة رصينة جادة لكنها مقروءة من الجمهور وهي مجلة تعني بالأبعاد الحضارية للمشروع الحضاري الإسلامي لكن دون أن تغرق في الأكاديمية الجادة.. وهي ذات نبرة متعاطفة مع المستضعفين والفقراء والمظلومين دون أن تخرج علي فلسفة الانصاف الإسلامية لهؤلاء المستضعفين والفقراء وهي مرتبطة بأرض الإسلام ووطنه دون أن تغفل عن الأبعاد العقيدية للوطنية الإسلامية وهي ذات توجه إنساني دون أن تغفل عن تميز الأمة الإسلامية في الإطار الإسلامي.

إنها كما قلت مجلة إسلامية في الإطار الإنساني . لكنها فيما أظن فريدة في ميدان الإعلام الإسلامي.

المستشار طارق البشرى :

المختار تقرأ من الغلاف إلى الغلاف والمختار تقرأ بلا اختيار ..

عشرون عاما من النضال

مع اكتمال البدر ننتظر الوليـــد.. ننتظـــره باللهفة والخوف أن تسبقه يد الجـــلاد.. في الصباح نحتضنه ونضمه.. نتمتم رقيانـــا أن يحفظه الله ... هل فاجانا سيف الجـــلاد في آخر ذلك الليل؟ لا أدري تماما.. كل مـــا أدريه أنه جاء متأخرا يكفي أن أقول إنـــه في داخل سجون الأرض المحتلة كانت (المختـــار الإسلامي) كتابا يوميا كان هنا سرا وكنـــا نتحدث عنه طويلا..

الشهيد فتحي الشقاقي

مؤسس حركة الجهاد الإسلامية

بفلسطين المحتلة

(المختار الإســـلامي) تطـــرح علـــي صفحاتها فكرا من نوع خاص يحرك ســـاكن النفس ويلهب فيها مشاعرها الخامدة تجـــاه قضايا الإسلام العالمية وذلك بأسلوب ســـهل ميسر يجعل قارئها كلما قرأ ســـطرا فيـــها انجذب إلي قراءة سطر آخر.

ماليزيا

تستحوذ الحركة الإسلامية في أنحاء العالم علي انتباه الشرق والغرب فتملأ الصحـــف والمجلات بشتى المقالات وقد لاحظنا باهتمام بالغ ما يكتب عن المسلمين في أقـــص الأرض مما قد يغيب عن أبنـــاء وطننـــا في مصـــر و(المختار الإسلامي) تعد في طليعة الأصوات المعبرة عن آلام وآمال المسلمين فلكم منـــا تحيات ودعوات حارات بالتوفيق والســـداد في سعيكم الدائب.. إن (المختار) جديـــرة بكل تقدير وثناء..

جنوب الفلبين

(المختار الإسلامي) صوت العصر المميز يخاطب إسلامية البشـــر فيحـــرك كوامـــن المشاعر العريقة لاجتـــلاء طريـــق النصـــر الإسلامي القادم إن شاء الله..

سيدني – استراليا

تحية إسلامية صادقة أهديها إليكم علي أرض الكنانة أرض البطولات تداعب أرواحكم المؤمنة الكريمة تحية عطرة لكل قلم فذ يسهم في هذا العمل العظيم.

الخرطوم

(المختار الاسلامي) هي الشعلة التي لاتزال متقدة ومتقدة بقوة تسير علي الطريق بخطو ثابت خطي أصحاب الرسالات والعزم.

بيارس

كم أنا مشفق من ذلك اليوم، يوم الوقوف بين يدي الله عز وجل، كم أنا مشفق علي كل أولئك الذين سيأتون من هذا القرن ولا يملكون (مختارا إسلاميا) كمختارنا.. تهانينا الحارة لكم ولكل الإخوة الساهرين علي رعاية الوالدة الحنون (المختار الإسلامي)..

رمضان عبد الله

الأمين العام لحركة الجهاد الإسلامي بفلسطين

تلك باقة من سيل العبرات والرسائل المعطرة والتي ترد لنا يوميا لكي تكون زادا لنا في غربتنا الإسلامية وغذاء يوميا بل همزة الوصل المباركة التي تصلنا بإخوة لنا عبر الساحة الإسلامية.. إنها آصرة الأخوة.

حسين عاشور

●●●

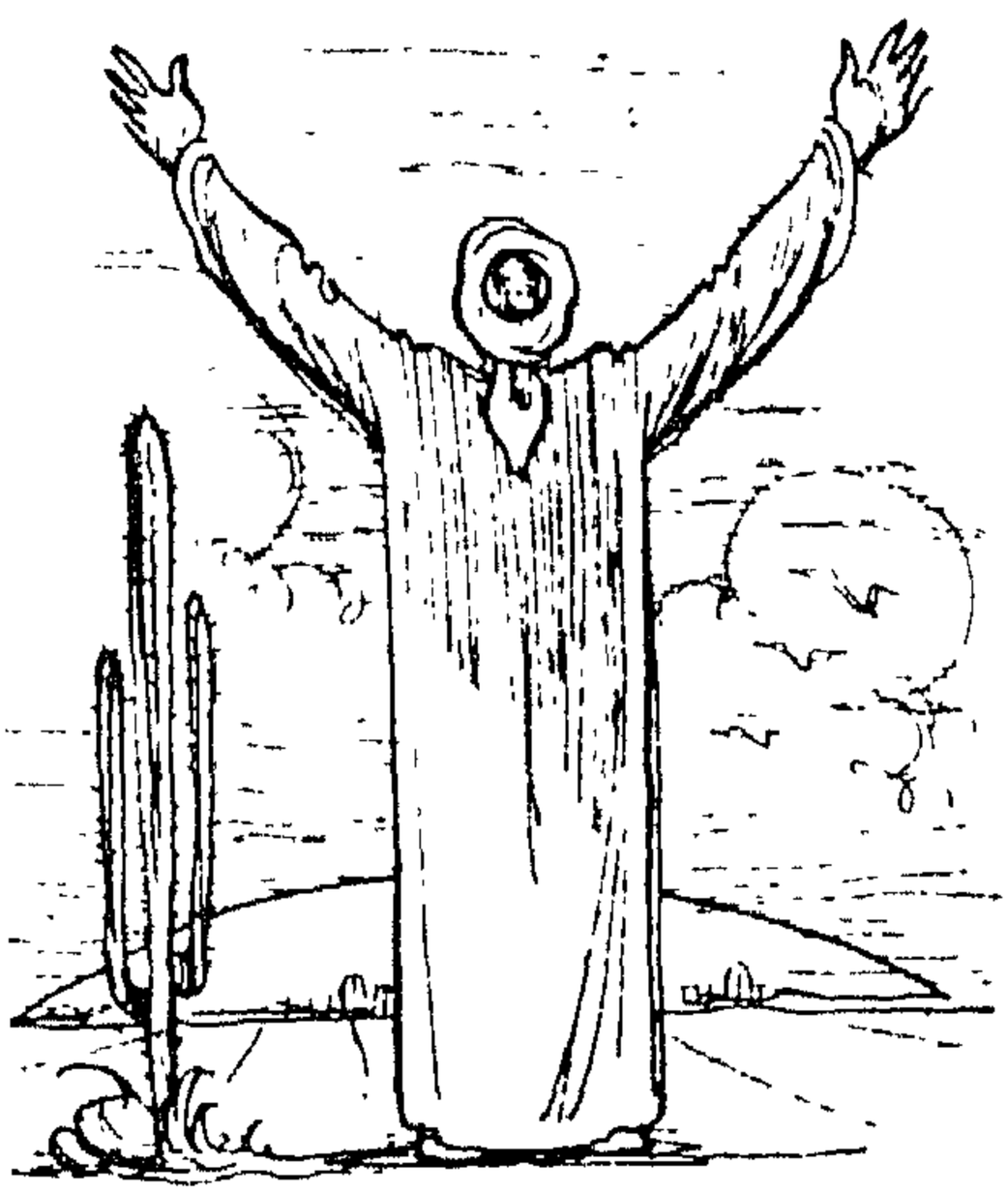

حديث الشهيد

سيد قطب

"ألر"

من هذه الحروف وأمثالها، تتألف آيات الكتاب الحكيم، الذي ينكرون أن يكون الله قد أوحي به إلي الرسول. وهذه الحروف في متناول أيديهم، ثم لا يبلغون أن يؤلفوا منها آية واحدة من مثل آيات الكتاب ـ كما يتحداهم في هذه السورة ـ ولا يقودهم هذا إلي التدبر، وإدراك أن الوحي هو مفرق الطريق بينهم وبين الرسول، وأنه لولا هذا الوحي لوقف وقفتهم عاجزا عن تأليف آية واحدة، من هذه الحروف المبذولة للجميع.

"تلك آيات الكتاب الحكيم"

الحكيم الذي يخاطب البشر بما يناسب طبائع البشر، ويعرض في هذه السورة جوانب منها صادقة باقية، نجد مصداقها في كل جيل.

" أكان للناس عجبا أن أوحينا إلي رجل منهم أن أنذر الناس، وبشر الذين آمنوا أن
لهم قدم صدق عند ربهم؟ قال الكافرون.
إن هذا لساحر مبين".

سؤال استنكاري. يستنكر هذا العجب الذي تلقب به الناس حقيقة الوحي منذ كانت الرسل.

لقد كان السؤال الدائم الذي قوبل به كل رسول: أبعث الله بشرا رسولا ؟ ومبعث هذا السؤال هو عدم إدراك قيمة "الإنسان". عدم إدراك الناس أنفسهم لقيمة "الإنسان" الذي يتمثل فيهم. فهم يستكثرون علي بشر أن يكون رسول الله، أن يتصل الله به ـ عن طريق الوحي ـ فيكلفه هداية الناس. إنهم ينتظرون أن

يرسل الله ملكا أو خلقا آخر أعلي رتبة من الإنسان عند الله. غير ناظرين إلي تكريم الله لهذا المخلوق، ومن تكريمه أن يكون أهلا لحمل رسالته، وأن يختار من بين أفراده من يتصل بالله هذا الاتصال الخاص.

هذه كانت شبهة الكفار المكذبين علي عهد الرسول ـ صلي الله عليه وسلم ـ وشبهة أمثالهم في القون الأولي. فأما في هذا العصر الحديث فيقيم بعض الناس من أنفسهم لأنفسهم شبهة أخري لا تقل تهافتا عن تلك! إنهم يسألون: كيف يتم الاتصال بين بشر ذي طبيعة مادية وبين الله المخالف لطبيعة كل شيء مما خلق. والذي ليس كمثله شيء؟

وهو سؤال لايحق لأحد أن يسأله إلا أن يكون قد أحاط علما بحقيقة الله سبحانه وطبيعة ذاته الإلهية، كما أحاط علما بكل خصائص الإنسان التي أودعها الله إياه. وهو مالا يدعيه أحد يحترم عقله، ويعرف حدود هذا العقل. بل يعرف أن خصائص الإنسان القابلة للكشف مايزال يكشف منها جديد بعد جديد، ولم يقف العلم بعد حتي يقال: إنه أدرك كل الخصائص الإنسانية القابلة للإدراك. فضلا علي أنه ستبقي وراء إدراك العلم والعقل دائما آفاق من المجهول بعد آفاق!

ففي الإنسان إذن طاقات مجهولة لا يعلمها إلا الله. والله أعلم حيث يجعل رسالته في الإنسان ذي الطاقة التي تحمل هذه الرسالة. وقد تكون هذه الطاقة مجهولة للناس، ومجهولة لصاحبها نفسه قبل الرسالة. ولكن الله الذي نفخ في هذا الانسان من روحه عليم بما تنطوي عليه كل خلية، وكل بنية، وكل مخلوق، وقادر علي أن يطوع لإنسان هذا الاتصال الخاص بكيفية لا يدركها إلا من ذاقها وأوتيها.

ولقد جهد ناس من المفسرين المحدثين في إثبات الوحي عن طريق العلم للتقريب. ونحن لا نقر هذا المنهج من أساسه. فللعلم ميدان. هو الميدان الذي يملك أدواته. وللعلم آفاق هي الآفاق التي يملك أدوات كشفها ومراقبتها. والعلم لم يدع أنه يعرف شيئا حقيقيا عن الروح. فهي ليست داخلة في نطاق عمله، لأنها ليست شيئا قابلا للاختبار المادي الذي يملك العلم وسائله.

لذلك تجنب العلم الملتزم للأصول العلمية أن يدخل في ميدان الروح، أما ما يسمي "بالعلوم الروحانية" فهي محاولات وراءها الريب والشكوك في حقيقتها وفي أهدافها كذلك ولا سبيل إلي معرفة شيء يقيني في هذا الميدان إلا ما جاءنا من مصدر يقيني كالقرآن والحديث وفي الحدود التي جاء فيها بلا زيادة ولا تصرف ولا قياس. إذ أن الزيادة والتصرف والقياس عمليات عقلية.والعقل هنا في غير ميدانه، وليس معه أدواته. لأنه لم يزود بأدوات العمل في هذا الميدان.

" أكان للناس عجبا أن أوحينا إلي رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم؟".

فهذه خلاصة الوحي: إنذار الناس بعاقبة المخالفة، وتبشير المؤمنين بعقبي الطاعة. وهذا يتضمن بيان التكاليف الواجبة الاتباع وبيان النواهي الواجبة الاجتناب. فهذا هو الإنذار والتبشير ومقتضياهما علي وجه الإجمال.

والإنذار للناس جميعا. فكل الناس في حاجة إلي التبليغ والبيان والتحذير: والبشري للذين آمنوا وحدهم. وهو يبشرهم هنا بالطمأنينة والثبات والاستقرار.. تلك المعاني التي توحي بها كلمة (صدق) مضافة إلي القدم. في جو الإنذار والتخويف.. "قدم صدق".. قدم ثابتة راسخة موقنة لا تتزعزع ولا تضطرب ولا تتزلزل ولا تتردد، في جو الإنذار وفي ظلال الخوف، وفي ساعات الحرج.. "قدم صدق عند ربهم".. في الحضرة التي تطمئن فيها النفوس المؤمنة. حينما تتزلزل القلوب والأقدام.

وحكمة الله واضحة في الإيحاء إلي رجل منهم. رجل يعرفهم ويعرفونه, يطمئنون إليه ويأخذون منه ويعطونه، بلا تكلف ولا جفوة ولا تحرج .. أما حكمته في إرسال الرسل فهي أوضح، والإنسان مهيأ بطبعه للخير والشر، وعقله هو أداته للتمييز. ولكن هذا العقل في حاجة إلي ميزان مضبوط يعود إليه دائما كلما غم عليه الأمر، وأحاطت به الشبهات، وجذبته التيارات والشهوات، وأثرت فيه المؤثرات العارضة التي تصيب البدن والأعصاب والمزاج، فتتغير وتتبدل تقديرات العقل

أحيانا من النقيض ألي النقيـــض. هـــو في حاجة إلي ميزان مضبوط لا يتـــأثر بهـــذه المؤثرات ليعود إليه، ويتزل علي إرشـــاده، ويرجع إلي الصواب علي هـــداه وهـــذا الميزان الثابت العادل هو هدي الله وشريعة الله.

وهذا يقتضي أن تكون لدين الله حقيقة ثابتة يرجع إليها العقل البشري بمفهوماتـــه كلها، فيعرضها علي هذا الميزان الثـــابت، وهناك يعرف صحيحها مـــن خاطئـــها ، والقول بأن دين الله هو دائمـــا "مفـــهوم البشر لدين الله" وأنه مـــن ثم "متطـــور في أصوله" يعرّض هذه القاعدة الأساســـية في دين الله ــ وهي ثبات حقيقته وميزانـــه ــ لخطر التميع والتأرجح والدوران المســـتمر مع المفهومات البشرية. بحيـــث لايبقـــي هنالك ميزان ثابت تعرض عليه المفـهومات البشرية.والمسافة قصيرة بين هذا القـــول، والقول بأن الدين مـــن صنـــع البشـــر.. فالنتيجة النهائية واحدة، والمزلـــق خطـــر وخطير للغاية، والمنهج بجملته يســـتوجب الحذر الشديد.. منه ومن نتائجه القريبـــة والبعيدة .. ومع وضوح قضية الوحي علي هذا النحو، فإن الكافرين يستقبلونها كمـــا لو كانت أمرا عجيبا:

" قال الكافرون: إن هـــذا لســـاحر مبين"..

ساحر لأن ما ينطق به معجـــز. وأولي لهم ــ لو كانوا يتدبرون ــ أن يقولـــوا : نبي يوحي إليه لأن ما ينطبق بـــه معجـــز. فالسحر لا يتضمن من الحقائق الكونيـــة الكبري ومن منهج الحياة والحركة، ومـــن التوجيه والتشريع ما يقوم به مجتمـــع راق، وما يرتكز عليه نظام متفرد..

ولقد كان يختلـــط عندهـــم الوحـــي بالسحر، لاختلاط الديـــن بالســـحر في الوثنيات كلها، ولم يكن قد وضـــح لهـــم مايتضح للمسلم حين يدرك حقيقة ديـــن الله، فينجو من هذه الوثنيات وأوهامـــها وأساطيرها.

"إن ربكم الله الذي خلق الســـماوات والأرض في ستة أيام، ثم اســـتوي علـــي العرش، يدبر الأمر، ما من شفيع إلا مـــن بعد إذنه. ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفـــلا تذكرون؟ إليه مرجعكم جميعا، وعـــد الله حقا، إنه يبدأ الخلق ثم يعيده، ليجزي الذين

آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط، والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون. هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب. ما خلق الله ذلك إلا بالحق، يفصل الآيات لقوم يعلمون، إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السماوات والأرض لآيات لقوم يتقون".

وهذه هي القضية الأساسية الكبري في العقيدة. قضية الربوبية.. فقضية الألوهية لم تكن محل إنكار جدي من المشركين. فهم كانوا يعتقدون بوجود الله ــ لأن الفطرة البشرية لا تستطيع التخلي عن الاعتقاد بوجود إله لهذا الكون إلا في حالات نادرة منحرفة شديدة الانحراف ــ ولكنهم كانوا يشركون مع الله أربابا يتوجهون إليهم بالعبادة. إما ليقربوهم إلي الله زلفي ويكونوا لهم شفعاء عنده كما كانوا يزاولون خصائص الربوبية فيشرعون لأنفسهم مالم يأذن به الله.

والقرآن الكريم لا يدخل في جدل ذهني جاف بصدد قضية الألوهية والربوبية ــ كالذي جد فيما بعد بتأثير المنطق اليوناني والفلسفة الإغريقية ــ إنما يلمس المنطق الفطري الواضح البسيط المباشر: إن الله هو الذي خلق السماوات والأرض وما فيهن . وجعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل. وقدر اختلاف الليل والنهار.. هذه الظواهر البارزة التي تلمس الحس، وتوقظ القلب لو تفتح وتدبرها تدبر الواعي المدرك.. إن الله الذي خلق هذا ودبره هو الذي يليق أن يكون ربا يدين له البشر بالعبودية ولا يشركون به شيئا من خلقه.. أليست قضية منطقية حية واقعية، لا تحتاج إلي كد ذهن، ولا إلي بحث وراء الأقيسة الجدلية التي يعلكها الذهن باردة جافة، ولا تدفيء القلب مرة ولا تستجيش الوجدان؟!

إن هذا الكون الهائل . سماواته وأرضه. شمسه وقمره. ليله ونهاره. وما في السماوات والأرض من خلق، ومن أمم ومن سنن، ومن نبات ومن طير ومن حيوان، كلها تجري علي تلك السنن..

إن هذا الليل الطامي السادل الشامل، الساكن إلا من دبيب الرؤي والأشباح. وهذا الفجر المتفتح في سدف الليل

كابتسامة الوليد الراضي. وهذه الحركة يتنفس بها الصبح فيدب النشاط في الحياة والأحياء. وهذه الظلال السارية يحسبها الرائي ساكنة وهي تدب في لطف. وهذا الطير الرائح الغادي القافز الواثب الذي لا يستقر علي حال. وهذا النبت النامي المتطلع أبدا إلي النمو والحياة. وهذه الخلائق الذاهبة الآيبة في تدافع وانطلاق. وهذه الأرحام التي تدفع والقبور التي تبلع، والحياة ماضية في طريقها كما شاء الله..

إن هذا الحشد من الصور والظلال، والأنماط والأشكال، والحركات والأحوال، والرواح والذهاب، والبلي والتجدد، والذبول والنماء، والميلاد والممات، والحركة الدائبة في هذا الكون الهائل الذي لاتني ولا تتوقف لحظة من ليل أو نهار.

إن هذا كله ليستجيش كل خالجة في كيان الإنسان للتأمل والتدبر والتأثر، حين يستيقظ القلب، ويتفتح لمشاهدة الآيات المبثوثة في ظواهر الكون وحناياه.. والقرآن الكريم يعمد مباشرة إلي إيقاظ القلب والعقل لتدبر هذا الحشد من الصور والآيات.

"إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام"..

إن ربكم الذي يستحق الربوبية والعبادة هو هذا الخالق، الذي خلق السماوات والأرض. خلقها في تقدير وحكمة وتدبير:

"في ستة أيام".

حسب ما اقتضت حكمته أن يتم تركيبها وتنسيقها وتهيئتها لما أراده الله. ولا ندخل في تحديد هذه الأيام الستة. فهي لم تذكر هنا لنتجه إلي تحديد مداها ونوعها. إنما ذكرت لبيان حكمة التقدير والتدبير في الخلق حسب مقتضيات الغاية من هذا الخلق، وتهيئته لبلوغ هذه الغاية..

وعلي أية حال فالأيام الست غيب من غيب الله، الذي لا مصدر لإدراكه إلا هذا المصدر. فعلينا أن نقف عنده ولا نتعداه. والمقصود بذكرها هو الإشارة إلي حكمة التقدير والتدبير والنظام، الذي يسير به الكون من بدئه إلي منتهاه.

"ثم استوي علي العرش"..

والاستواء علي العرش. كناية عن مقام السيطرة العلوية الثابتة الراسخة، باللغة

التي يفهمها البشر ويتمثلون بهـا المعـاني، علي طريقة القرآن في التصوير (كما فصلنا هذا في فصل التخييل الحسي والتجسيم من كتاب التصوير الفني في القرآن".

و"ثم" هنا ليست للتراخي الزماني إنما هي للبعد المعنوي. فالزمان في هذا المقام لا ظل له. وليست هناك حالة ولا هيئة لم تكن لله ـ سبحانه ـ ثم كانت. فهو ـ سبحانه ـ منزه عن الحدوث ومايتعلق به من الزمان والمكان. لذلك نجزم بأن "ثم" هنا للبعد المعنوي، ونحن آمنون من أننا لم نتجاوز المنطقة المأمونة التي يحق فيها للعقل البشري أن يحكم ويجزم. لأننا نستند إلي قاعدة كلية في تنزيه الله سبحانه عن تعاقب الهيئات والحالات، وعن مقتضيات الزمان والمكان.

"يدبر الأمر"..

ويقدر أوائله وأواخره، وينسق أحواله ومقتضياته، ويرتب مقدماته ونتائجه، ويختار الناموس الذي يحكم خطواته وأطواره ومصائره.

"ما من شفيع إلا من بعد إذنه"..

فالأمر كله له، والحكم كله إليه. وما من شفعاء يقربون إلي الله زلفي. وما من شفيع من خلقه إلا حيث يأذن له بالشفاعة، وفقا لتدبيره وتقديره، واستحقاق الشفاعة بالإيمان والعمل الصالح، لا بمجرد التوسل بالشفعاء .. وهذا يواجه ما كانوا يعتقدونه من أن للملائكة التي يعبدون تماثيلها شفاعة لا ترد عند الله!

ذلك الله الخالق المدبر الحاكم الذي لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه.. "ذلكم الله ربكم".. الخليق بالربوبية "فاعبدوه" فهو الذي يستحق الدينونة له دون سواه.. "أفلا تذكرون"؟.. فالأمر من الثبوت والوضوح بحيث لا يحتاج إلا لمجرد التذكر لهذه الحقيقة المعروفة,..

ونقف لحظة أمام قوله تعالي بعد عرض دلائل الألوهية في السماوات والأرض: "ذلكم الله ربكم فاعبدوه"..

وقد قلنا: إن قضية الالوهية لم تكن محل إنكار جدي من المشركين، فقد كانوا يعترفون بأن الله ـ سبحانه ـ هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبر المتصرف القادر علي كل شيء.. ولكن هذا الاعتراف لم تكن تتبعه مقتضياته. فلقد كان من مقتضي هذا الاعتراف بألوهية الله علي هذا المستوي أن تكون الروبوبية له وحده في حياتهم.. والربوبية تتمثل في الدينونة له وحده، فلا يتقدمون بالشعائر التعبدية إلا له، ولا يحكمون في أمرهم كله غير .. وهذا معني قوله تعالي:

"ذلكم الله ربكم فاعبدوه"..

فالعبادة هي العبودية، وهي الدينونة، وهي الاتباع والطاعة، مع إفراد الله سبحانه بهذه الخصائص كلها، لأنها من مقتضيات الاعتراف بالألوهية.

وفي الجاهليات كلها ينحسر مجال الألوهية. ويظن الناس أن الاعتراف بالألوهية في ذاته هو الإيمان، وأنه متي اعترف الناس بأن الله إلههم فقد بلغوا الغاية، دون أن يرتبوا علي الألوهية مقتضاها وهو الربوبية.. أي الدينونة لله وحده ليكون هو ربهم الذي لارب غيره، وحاكمهم الذي لا سلطان لأحد إلا بسلطانه..

كذلك ينحسر معني "العبادة" في الجاهلية, حتي يقتصر علي مجرد تقديم الشعائر. ويحسب الناس أنهم متي قدموا الشعائر لله وحده، فقد عبدوا الله وحده.. بينما كلمة العبادة ابتداء مشتقة من عبد. و"عبد" تفيد ابتداء "دان وخضع". وما الشعائر إلا مظهر واحد من مظاهر الدينونة والخضوع لا يستغرق كل حقيقة الدينونة ولا كل مظاهرها.

والجاهلية ليست فترة من الزمان، ولا مرحلة من المراحل. إنما هي انحسار معني الألوهية علي هذا النحو، ومعني العبادة. هذا الانحسار الذي يؤدي بالناس إلي الشرك وهم يحسبون أنهم في دين الله ! كما هو الحال اليوم في كل بلاد الأرض، بما فيها البلاد التي يتسمي أهلها بأسماء المسلمين، ويؤدون الشعائر لله، بينما أربابهم غير الله، لأن ربهم هو الذي يحكمهم بسلطانه وشريعته، وهو الذي يدينون له ويخضعون لأمره ونهيه، ويتبعون مايشرعه

لهم، وبذلك يعبدونه كما قال رسول الله ـ صلي الله عليه وسلم ـ "فاتبعوهم. فذلك عبادتهم إياهم". في حديث عدي بن حاتم الذي أخرجه الترمذي.

ولتوكيد معني العبادة المقصود جاء في السورة ذاتها قوله تعالي: " قل : أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا. قل : "الله أذن لكم أم على الله تفترون ؟..

ومانحن فيه اليوم لايفترق في شيء عما كان عليه أهل الجاهلية هؤلاء الذين يناديهم الله بقوله:

ذلكم الله ربكم فاعبدوه. أفلا تذكرون!"

اعبدوه ولا تشركوا به شيئا. فإن مرجعكم إليه، وحسابكم عنده، وهو يجزي المؤمنين والكافرين:

"إليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا"..

إليه وحده لا للشركاء والشفعاء.

وقد وعد فلا خلف ولا تخلف،

فالبعث هو تتمة الخلق:

"إنه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط، والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون"..

فالعدل في الجزاء غاية من غايات الخلق والإعادة:

"ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط.."

والنعيم بلا منغصات وبدون عقابيل تعقب اللذة غاية من غايات الخلق والإعادة. إنها قمة الكمال البشري الذي يمكن أن تصل إليه البشرية. والبشرية لا تصل إلي شيء من هذا في هذه الأرض وفي هذه الحياة الدنيا المشبوبة بالقلق والكدر، والتي لاتخلو فيها لذة من غصة، أو من عقابيل تعقبها ـ إلا لذائذ الروح الخالصة وهذه قلما تخلص لبشر ـ ولو لم يكن في هذه الحياة الدنيا إلا الشعور بنهاية نعيمها لكان هذا وحده ناقصا منها وحائلا دون كمالها. فالبشرية لاتصل في هذه الأرض إلي أعلي الدرجات المقدرة لها، وهي التخلص من النقص والضعف ومعقباتهما، والاستمتاع بلا كدر ولا خوف من الفوت ولا قلق من الانتهاء .. وهذا كله تبلغه في الجنة كما وصف القرآن نعيمها الكامل الشامل. فلا جرم يكون من غاية الخلق والإعادة إبلاغ المهتدين من البشرية، الذين اتبعوا سنة الحياة الصحيحة وناموس الحياة القويم، إلي أعلي مراتب البشرية.

فأما الذين كفروا فقد خالفوا عن الناموس، فلم يسيروا في طريق الكمال البشري، بل جانبوه. وهذا يقتضي ـ حسب السنة التي لا تتخلف ـ ألا يصلوا إلي مرتبة الكمال، لأنهم جانبوا قانون الكمال، وأن يلقوا عاقبة انحرافهم كما يلقي المريض عاقبة انحرافه عن قوانين الصحة الجسدية. هذا يلقاه مرضا وضعفا، وأولئك يلقونه ترديا وانتكاسا، وغصصا بلا لذائذ ـ في مقابل اللذائذ بلا غصص.

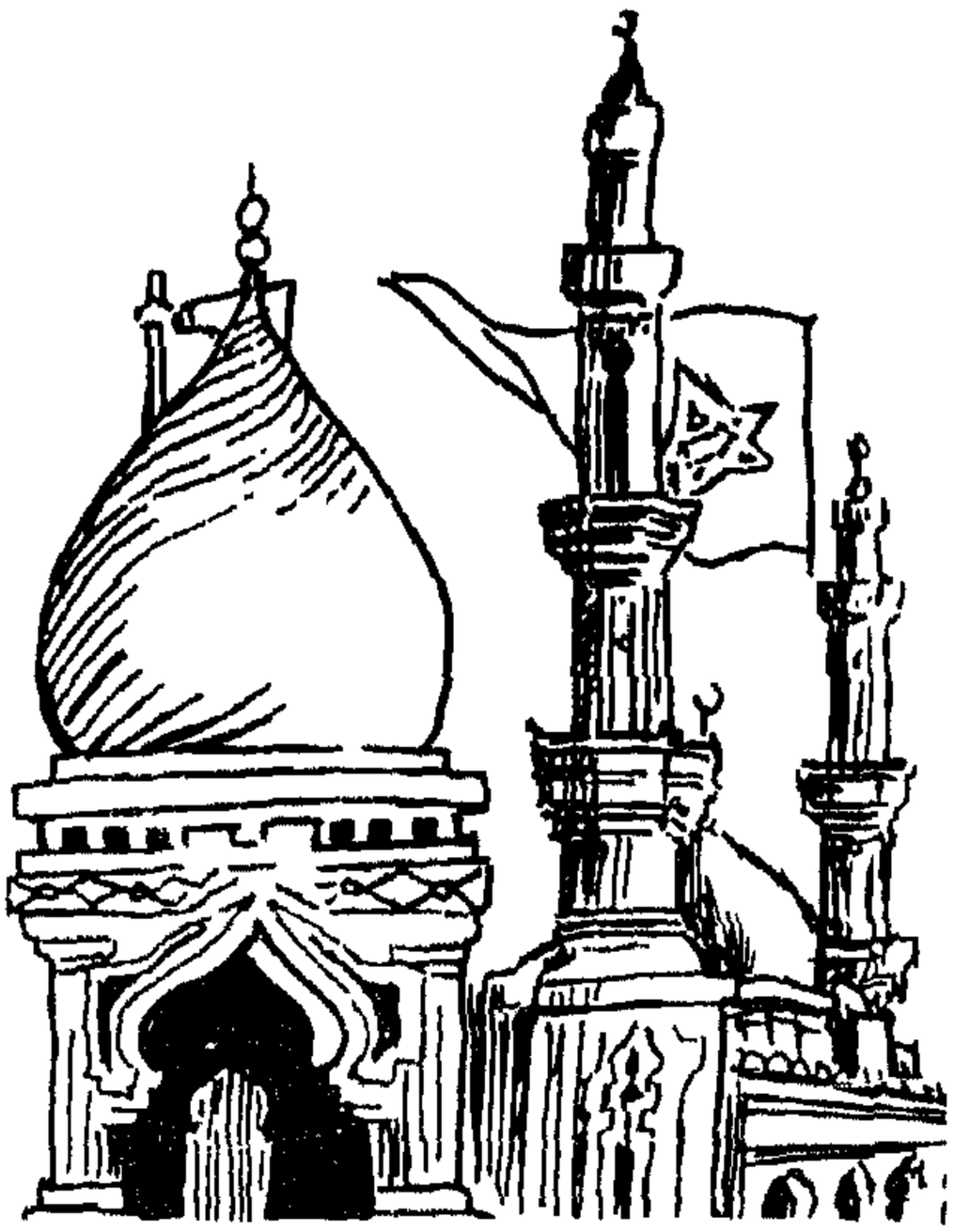

حال وحال

د. محمد يحيى

في يوم واحد (١٢ سبتمبر الماضي) نشرت صحيفة الأهرام خبرين يستحقان أن يوضعا الداخلية جنبا إلي جنب .

ففي صفحة الشئون الداخلية المصرية (لاحظ المكان) نشرت الجريدة خبرا حول افتتاح ماوصفته بأكبر كنيسة: أرثوذكسية (قبطية) في العالم وخبرا آخر داخله حول افتتاح أول كنيسة للأقباط

الكاثوليك في كنـــدا. وأكـبر كنيسـة أرثوذكسية قبطية في العالم هـي في كنـدا كذلك وقد ذكـرت الجريـدة أن البابـا شنودة سوف يذهب إلي هناك في زيـارة لبضع ساعات فقط بغـرض افتتاحـيها. وأطنبت الصحيفة في وصف هذه الكنيسة الفخمة وملحقاتها الكثـيرة في مـدارس لتعليم العربية والقبطية ونوادي للشـباب ومستشفيات وملاعب وحضانـات. إلخ حتي يتحقق قارئوا الخبر مـن أن مدينـة متكاملة أو دولة بحالها قد أقيمت داخـل كندا للأقباط الأرثوذكس. أما الخبر الآخر فقد نشر في صفحة الحـوادث بـالجريدة نفس اليوم (مرة أخري لاحظ الصفحـة) وجاء فيه أن الدكتور سيد طنطاوي قـد أحال إلي النائب العام (مرة واحدة) بلاغـا جديدا ضد الدكتور يحي اسماعيل الأسـتاذ بالازهر والأمين العام والرئيـس السـابق لجبهة علماء الأزهر (وصفتها جريدة الوفد الليبرالية للغاية بالمنحلة في إعادة لممارسات العهد السابق) بسبب مقال نشره الدكتـور يحيي في جريدة الأحرار ينتقد فيـه عـدم تصدي الأزهر لأحد الأفـلام الأجنبيـة المعروضة في دور السينما والذي يتضمـن هجوما علي الذات الإلهية لصالح إبليـس وكان الفيلم المذكور قد أثـار امتعـاض الكثير من الكتاب في الصحـف دون أن يتعرضوا لبلاغات الدكتـور طنطـاوي. وكان الدكتور قد سبق قبل البلاغ الأخـير بيوم واحد فقط أن أرسل بلاغـا آخـر للنائب العام حول نفس المقال وجـاء في الصحف أن سبب البلاغ الأول هـو أن الدكتور يحيي قال : (إن الدكتور طنطـلوي مشغول عن حماية العقيدة بمصالحه أو شئونه الشخصية وهو ما أكده الدكتور طنطـلوي نفسه عندما انتزع وقتا من مشاغله الـتي يفترض أنها جمة وكثيرة وخطيرة بحسـب المنصب لكي يوجه بلاغا للنـائب العـام يطالب بمحاكمة خصمه الفكـري (فيمـا يفترضه هو) أمام محاكم الجنايات. ولم تكن هذه المرة الأولي التي يلجأ فيها الدكتور إلي المحاكم كي يواجه خصومـه في الفكـر. والواقع أن نشر الخبرين في يوم واحـد في جريدة واحدة وعلي صفحتين مختلفتين كل منهما له مغزي خاص يسلط الضوء علـي حقائق معينة. إن هذا النشر يـؤدي مـن

حيث لاتحتسب الأهرام أو تتوقع إلي تدعيم موقف الدكتور يحيي اسماعيل في القضيـــة التي سعي الدكتور طنطـــاوي أن يرفعـــها عليه. فهو يؤكد أن الدكتـــور طنطـــاوي متفرغ لمسائل شخصية مثل الانتقام مـــن خصومه المفكرين لاسيما وأنه يتواتر مـــع أخبار صحفية عديدة أكدت أنه مثلا كـــان وراء صدور قرار إداري بحل جبهة علمـــاء الأزهر أو مجلس إدارتها وبإحالة عدد مـــن الأساتذة بجامعة الأزهر إلي التحقيقات أمام المجالس التأديبية بحجة مخالفات إداريـــة في الظاهر ولكن لوجود خلافـــات فكريـــة مشهورة منها تصدي هـــؤلاء الأســـاتذة لإبداء الرأي في قضايا عديدة مطروحـــة علي الساحة بحجـــج ومفـــاهيم تخـــالف مايذهب إليه الدكتور طنطاوي. ويضـــاف إلي ذلك أيضا ماتنقلـــه الصحـــف عـــن استعمال الدكتور طنطاوي للغة أقل مايقال فيها إنها عنيفة لوصف من يخالفه في الـــرأي وهو مابرره. أحـــد أنصـــار الدكتـــور في حديث صحفي مع جريدة الشعب بـــالقول بأن الدكتور سريع الانفعال. إذا جمعنا كـــل هذه الأخبار التي جـــرت بهـــا الصحـــف لوجدنا أنها تشير مع جمعها مع خبر أكـــبر كنيسة قبطية أرثوذكسية في العـــالم وأول كنيسة كاثوليكية في كندا أو خارج مصـــر للأقباط الكاثوليك إلي حالة تثير التـــأمل. فمن ناحية هناك انشغال بـــأمور الطائفـــة الدينية ومصالحها ببناء الكنائس الكـــبري وتعميرها في شتي ألحاء الأرض ومن ناحيـــة أخري انشغال بأمور أقل مايقال فيها إنهـــا فرعية أو شخصية رغم أن مايمكن أن يقال فيها أقصي من ذلك بكثير لأنه من غـــير المفهوم ولا غير المحبوب أن يكون انشـــغال الشخصية العامة برفع الجنح والجنايـــات علي الغير لاسيما وأن هذا يأتي في إطـــار خلافات فكرية وليســـت مشـــاجرات أو جرائم قتل أو سرقة. لقد نشبت صراعـلت عديدة بين البابا شنودة ومخالفيه المعـلرضين له بشدة المتهمين له بالسيطرة علي الكنيسة أو الاستيلاء علي الأموال.. إلخ لكنـــه لم يلجأ إلي المحاكم وعندما لجأ مرة أو مرتـــين إلي سلاح الحرمات أو الطرد الكنسي وهو سلاح طبيعي ومشروع في ظل التعـــاليم الكنسية كانت النتيجة ثورة عارمة بـــين الجميع ضد انتـــهاك حقـــوق الانســـان

ومباديء حرية الفكر فما بالنا بالإسلام الذي لايعرف كهنوتا ولا قداسة ولا عصمة لشخص مهما كان. وكان الأسلوب الذي يلجأ إليه الأنبا شنودة عادة هو أسلوب المواجهة بالحجة وبالرأي في صحف حكومية وحزبية يفتح العشرات منها أبوابه للدكتور طنطاوي لو أراد بدل إشغال القضاء المصري المثقل بالفعل بالأعباء الجسيمة. ولعلنا نذكر مرة أخوي مثال نجلا الرئيس مبارك اللذين رفضا الاستمرار في رفع قضية علي صحيفة عربية كانت قد هاجمتهما بشكل قبيح ومقزز رغم أنه كان يمكن لهما الاستمرار حتي تغريم الصحيفة أو معاقبتها .أما الشجون الأخري التي يثيرها خبر جريدة الأهرام حول أكبر الكنائس الأرثوذكسية القبطية في العالم هو أن البعض في مصر يريد تحت شعارات العلمانية أو مكافحة التطرف أن يسلب كل نشاطات المسجد وصولا لرفع الأذان وربما الصلاة. إنهم يريدون إلغاء دور المسجد في تقديم أية خدمات للمجتمع المحيط مثل الخدمات الصحية (وزير الأوقاف يريد أن يسلب مستوصفات المساجد شرعيتها ويلحقها بوزارة الصحة غير القادرة علي إدارة المستشفيات الحكومية نفسها إلا بالكاد وحتي الخدمات التعليمية مثل مجموعات التقوية وماشابه وكل ذلك بحجة غريبة هي الحفاظ علي كرامة المساجد وهيبتها وكأن المساجد لاتكتسب الهيبة والكرامة إلا إذا أصبحت خاوية علي عروشها مفصولة عن المجتمع المحيط بها والذي لن يسمع حتي أذان الصلاة وهو يرفع منها حسب خطة الأوقاف في منع الميكروفونات. وفي الوقت الذي يقولون فيه إن هيبة المساجد وكرامتها ووقارها لن تحفظ إلا بمنع أي خدمات تقدمها حتي جمع الزكاة وبالتالي فصلها عن المجتمع المحيط بها تقدم لهم أكبر كنيسة أرثوذكسية قبطية في العالم النموذج السليم لكيفية اكتساب دور العبادة كما يسمونها للهيبة والكرامة من خلال تعدد الخدمات التي تقدمها وينطبق نفس الشيء علي أول كنيسة قبطية كاثوليكية في العالم خارج مصر فنحن لم نسمع أن البعض مثلا ذهب إلي البوسنة ليعمر أول أو آخر مسجد بها بعد العدوان الصربي ولا إلي

الصين لكي يبني بها مسجدا يكـــون الأول الذي تبنيه مصر في بكين أو حتي ليتشـــفع لمسلمي الصين لدي السلطات هناك الـــتي تضطهدهم. ولم نسمع عن أحد ذهـــب إلي رواندا أو بورندي أو إرتيريا لبنـــاء حـــتي أصغر مسجد في العالم بعد سنوات الإبـــادة التي عصفت بتلك البلاد وأثرت بـــــدون شكل علي المسلمين فيها. كل ماسمعناه هـو قضايا تتري ولجان تحقيق تعقد وبلاغـــات للنائب العام ومحاكم تأديبية .. إلخ وســـط مناخ من استخدام اللغة التي أقل ماتوصف به أنها عنيفـــة دون اللجـــوء للأوصـــاف الحقيقية لها.

لمـــــاذا ؟

كثرت في الفترة الأخـــيرة شـــكاوي الصحافة والصحفيين مما أسمي بجمهوريـــة مارينا المســـتقلة أو بـــالأصح تصرفـــات مجموعات من شباب الأغنيـــاء والمـــترفين فيها. وسمعنا الصرخات تتعالي من الشـباب الذي يقود الســـيارات وهـــو مخمـــور أو مسطول ويقود موتوسيكلات الشـــاطيء والبحر برعونة ويقتل الآخرين وعن المتات من الشباب الذين يتشاجرون في الملاهي .

والمراقص بزجاجات الخمر المكســـورة من أجل فتاة.. إلخ. ولكن هذه الصيحـلت الاستنكارية لم تكن تخفي وراءها غيرة علي الاخلاق والفضيلة قدر ماكانت تنطلق من دوافع أخري. البعض مثلا انطلـــق مـــن الهجوم علي رجال الأعمال وواحد مـــن أشهرهم اتهموه بالإهمال أو عدم التبليـــغ عن حادث راح ضحيته أحـــد الشـــباب المصطافين . ومن العجيب أن الهجوم علـــي رجل الأعمال هذا انطلق في البداية مـــن اليسار الحكومي لكن سرعان ماتنبه البعض إلي أن شركته تشرف علي برنامج جوائـــز رمضاني شهير توزع فيه مبالغ مالية علـــي من يحفظون أو يفهمون آيـــات القـــرآن الكريم وسرعان ماتحول الهجوم إلي تيـــار مسعور بعد كشـــف هـــذه الحقيقـــة أو اكتشافها. إذن لم تكن الهجمات علي أهـــل مارينا في هذه الحالة منطلقة مـــن حـــب

للأخلاق بقدر ماكانت تصدر عن تصفية حسابات مع أحد رجال الأعمال المعنيين ثم مع طبقة أخري من رجال الأعمال أصبحوا الآن يمثلون خطرا علي النظام نفسه في تصور البعض. والغريب أن الهجمات علي أهل مارينا طالت رجال الأعمال وحدهم لأنهم يبدوا أنهم ليس لهم ظهر أو بطن لكن الهجمات لم تتجه أبدا ناحية أهل مارينا الحقيقيين من أتباع وأهل وأقارب رجال الدولة السابقين واللاحقين رغم أن أصابع الاتهام الشعبية كانت تتجه إليهم فيما يتعلق بسلوكيات مارينا وأشباهها المنحرفة. والأهم من ذلك كله أن المتباكين علي ضياع الفضيلة في الساحل الشمالي وغيره لم يشيروا أبدا إلي المتهم الحقيقي في ذلك وهو الحرب المعلنة منذ مايزيد عن الخمس عشرة سنة علي مجمل تيار التدين والفضيلة والخلق في البلاد. إن الانحرافات الخطيرة والإجرامية التي نشتكي منها الآن وبالذات بين الشباب إنما تعود إلي عملية الفراغ الديني التي خلقت عمدا في كل الأوساط. ونعني بالفراغ الديني محاربة كل مظاهر العودة إلي الله والالتزام بالخلق والقيم الإسلامية. لقد أطلقوا علي البلاد تيارا شرسا من الإباحية بدءا من الإعلام إلي الفنون إلي مظاهر الأمركة والعلمنة في كل مجال والحرب الإدارية والأمنية الرسمية ضد كل مظهر إسلامي لاينتمي إلي برود وخواء ما أصبحت المؤسسة الدينية الإسلامية تتبناه وتعلنه بعد أن جري تأميمها بالكامل مؤخرا. لقد جعلوا الصلاة شبهة والحجاب رذيلة والتفكير في شئون المجتمع من منظور إسلامي جريمة كبري. والآن عندما ينطلق السكاري والعابثون والمترفون يدمرون كل شيء في المجتمع يصرخون ويتباكون في شماتة مكتومة ويزرفون دموع التماسيح علي الفضيلة التي أضاعوها بل قتلوها. إننا لانتخيلهم يبكون حقا علي الأخلاق والقيم وإلا فأين كانوا يوم أن ذبحوها. والطريف أنهم الآن يبكون علي الفضيلة المسفوحة عندما تبين لهم فجأة أن الطبقات الطفيلية والمتأمركة والمنحلة التي خلقوها هم في خضم العداء للإسلام والتدين الإسلامي قد تحولت فجأة إلي غول مستقل تحركه أمريكا ربما في مسعي لإسقاطهم هم.

إنهم يصرخون وقد فات أوان الاستغاثة لأن هذه القوي المشبوهة والتي لا تنتمي لدين ولا وطن والتي أوجدتها سياسة الحرب علي الإسلام أصبحت هي الآن القوي العميلة لإسرائيل وأمريكا والصهيونية والصليبية الدولية والماسونية وكل قوي الشر في هذا العالم. إن العلمانيين في مصر لايزالون يصدعون رؤوسنا حتي الآن عن تلك الأكذوبة الكبري التي أطلقوها والتي تقول إن الحكم في مصر قد خلق الحركة الإسلامية لمحاربة اليسار لكن هذه الحركة انقضت عليه تحاربه وسقته جزاء سنمار. إنهم يطلقون هذه الأكذوبة ومايزالون ليغطوا بها علي واقع مضاد يشبه تماما تلك الأكذوبة ولكن علي العكس مما يدعون. إن تيار الانحلال والعلمنة واللادينية والأمركة والتغريب الذي أطلق من عقاله ووضعت تحت تصرفه كل القوي لكي يضرب التيار الإسلامي قد شب الآن عن الطوق وأصبح غولا مفترسا يأكل من خلقوه أو ساعدوه كأول من يأكل. لقد خلقوا وساعدوا التحلل من كل القيم وعدم الانتماء للدين والوطن وهم الآن يجدون العملاء والخونة والمخربين للاقتصاد وكلاب إسرائيل والأمريكان من بين أبناء هذا التيار. إن القضية ليست فقط فيمن يقودون السيارات وهم سكاري ولا الذين يصدمون بقوارهم المتخمين (من نفس الطبقة) ولكنها قضية مجموعات من المفرغين من كل ولاء وكل التزام بل وكل إنسانية وقد أطلقت علي البلاد ومنحت لها القوة المادية في اقتصاد أسموه بالمفتوح وما هو بالمفتوح بل هو مفتوح فقط لصفوة أو قلة وفئة معينة اختيرت اختيارا. هؤلاء منحت لهم القوة المادية والنفوذ والوصول للإعلام وطرحوا علي الناس كقدوة تحتذي ونموذجا يقلد. وهاهي أفعالهم تدل عليهم. إنهم الآن يتحدثون عن الشباب الذين (يتخالقون) في (الكباريهات) حول فتاة لكنهم لا يتحدثون عن أبناء نفس هذه الطبقة الذين يطبعون ويتاجرون ويتعاملون مع إسرائيل وأمريكا ويستوردون القيم المخلة مع الأكل الفاسد والسريع. ونفس هؤلاء هم الآن الذين يشكلون الطابور الخامس الذي تعده أمريكا وإسرائيل

للانقضاض علي من أوجدوهم وساعدوهم لدي أول بادرة للخـــروج عـــن النـــص المكتوب. ويبدو أن بوادر هذا الخروج قـد بدأت بالفعل ولذلك ارتفعت صيحـــات الهجوم علي أمريكا وإسرائيل (أصدقـــاء الأمس القريب) دون أن يدري الناس لـلذا تحولت الشقيقة الكبري والجارة العظمـــي فجأة إلي أعداء ولماذا تهاجم روزاليوســـف السفير الأمريكي وتصفه بأنـــه يـــهودي يمارس طقوس دينية (وكأنها جريمة في عصر التسامح الذي أعلنوه في وجـــه الإســـلام وحده). إن الخطر من التيـــار اللامنتمـــي والعميل قد أخـــذ يتضـــح الآن لكنـــهم لايقولون ذلك صراحة في الصحـــف بـــل يشكون فقط من التسيبات والانحرافـــات الظاهرة وينسبونها إلي أبناء رجال الأعمـلل وحدهم دون أبناء الغير والطريـــف أنهـــم عندما يتحدثون الآن عن الأخلاق الضائعة والقيم المهدرة ينسون أنهم كـــانوا حـــتي أشهر قليلة يهاجمون الإســـلاميين الذيـــن يتحدثـــون عـــن الأخـــلاق ويتـــهمونهم بالسذاجة والغباء أو بأنهم في حديثهم عـــن الأخلاق يدارون ويخفون أطماعا سياســـية شرسة. ولكن هاهي الآية قد انعكســـت وأصبحوا الآن يتحدثـــون عـــن القيـــم والأخلاق الضائعة ويدارون ويخفـــون في أنفسهم هدفا آخر هـــو الخـــوف علـــي المناصب والأوضاع من نفس التيار الـــذي خلقوه وساعدوه كـــي يضـــرب التيـــار الإسلامي المتدين وحده. وبقيـــت نقطـــة أخيرة تقال في هـــذا الصـــدد إن أحـــد الاشخاص أعلن مؤخرا أنه وحده الـــذي يمتلك الغيرة علي الإسلام في وجه خصومه الذين يختلفون معه والذين وصفهم بـــأنهم كلاب أولاد كـــلاب وأن (قفـــاهم زي وشهم).. إلخ لكن هذا الشخص لم ينطـــق بكلمة واحدة دفاعا عن الفضيلة والأخلاق وهي القيم التي يقول إن كل الأديان تحـــث عليها. فأين ذهبت الغيرة المحمودة علـــي الدين؟. لعل المانع خيرا. لقد أعلـــن أنـــه سوف يحارب التطرف (الإسلامي وحـــده) ولكنه لم يعلن أنه سوف يقاوم الانحـــلال والتسيب والإباحية . يا ساتر يارب!!

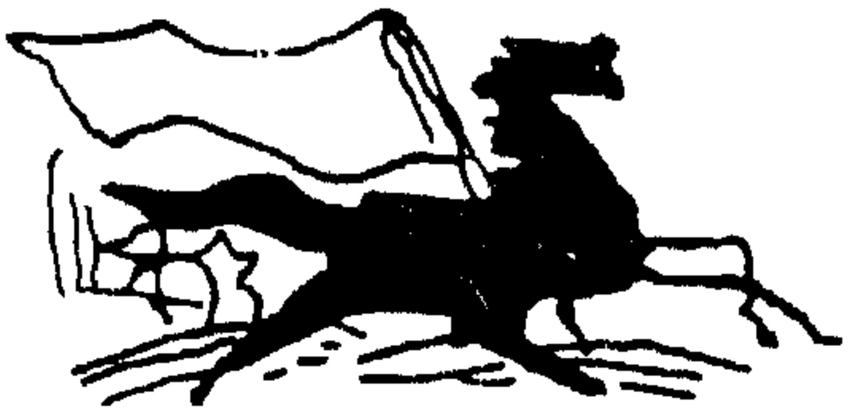

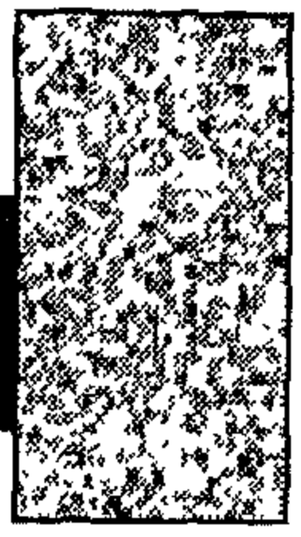

قدسية الإمام

في جريدة الأهرام يوم ٢١ سبتمبر الماضي وفي صفحة الحوادث (لاحظ مرة أخري حكاية صفحة الحوادث هذه التي يبدو أن البعض قد أصبح علي موعد معها تماما مثل (سنية جنح) ورد خبر تحت عنوان ايضاح يقول: "جاءنا من أحمد بيومي الفضالي أمين عام جبهة علماء الأزهر أن الدكتور يحيي اسماعيل ليس أمينا عاما لجبهة العلماء ولم يثبت من خلال مراجعة الجهات المختصة أن هناك بلاغا تقدم به أي عضو من أعضاء الجبهة ضد فضيلة الإمام الأكبر. وأن أعضاء الجبهة وأساتذة الأزهر الشريف وجامعته العريقة تكن لفضيلة الإمام الأكبر كل الحب والود والامتنان والتقدير ونرباً بأنفسنا أن ننال من منزلة ومكانة وقدسية إمام المسلمين". وهذا الخبر من الواضع أنه نشر ردا علي خبر كانت الأهرام قد نشرته حول بلاتقدم به الدكتور يحيي اسماعيل ضد الدكتور طنطاوي وإن كنا نشك في أن الأهرام بالفعل قد نشر مثل هذا الخبر. علما بأن من المعروف أن السيد الفضالي هو موظف معين من جانب الدكتور طنطاوي لادارة جبهة علماء الأزهر بعد الاستيلاء عليها وحلها. ولذلك فإن الفضالي نفسه لايمكن أن يعتبر أمينا عاما للجبهة طالما أن الأمر لم يتم بالانتخاب الحر. وليست هذه هي القضية وليست القضية كذلك أن الفضالي قد انتحل لنفسه صفة الحديث باسم أعضاء الجبهة (التي حلها الدكتور طنطاوي) ليس هذا هو المهم فنحن نعيش عصر دولة الموظفين الذين يسبحون بحمد الرؤساء، ولكن المهم هو ذلك الحديث عن قدسية إمام المسلمين. إن الدكتور طنطاوي لم يزعم لنفسه ولم يزعم له أحد أنه إمام المسلمين لأسباب كثيرة أولها أنه لايوجد مثل هذا المنصب في الوقت الراهن وثانيها أن الدكتور نفسه كثيرا مايتحدث عن الأديان السماوية وليس عن الإسلام . وثالث الأسباب أن منصب أو مكانة إمام المسلمين هو شيء كبير جدا يتجاوز

طاقات وأوضاع معظم الموجودين علـــي الساحة الرسمية الآن إن لم يكـــن كلـــهم. والطريف أن السيد الفضالي الذي نصـــب الدكتور طنطـــاوي إمامـــا للمســـلمين لم يستشر الرأي الرسمي الكبير الذي يكـــره حكاية المسلمين وإمامهم هذه ولو أن أحدا استشار الرأي الرسمي الكبير في موضـــوع إمامة المسلمين هذه لأطاح به الرأي الرسمي وراء الشمس. ولو كان "الرأي الرسمـــي الكبير يشك للحظة واحدة أن الدكتـــور يصلح أو يتطلع لأن يكون إماما للمسلمين لما من عليه بالمنصب. ماعلينا كـــل هـــذه الأمور ليست مهمة لكن المهم والخطير هـو حكاية القدسية التي ينسبها السيد الفضالي للدكتور طنطاوي. من الغريب والمضحـك والمبكي أن يقوم شـــخص يفـــترض أنـــه ينتسب للأزهر بوصف شخص آخر بأن له قدسية. ما الذي يفرقنـــا إذن عـــن أيـــام الصديق أبو جهل والعزيـــز أبـــو لهـــب وحضرات السادة المحترمين هبـــل وعـــك وأساف وتائلة وود ووســـواع ويعـــوق ويغوث ومناة الثالثة الأخـــري. إن كـــل هؤلاء الأصنام كانت تدعـــي لســـيادتهم القدسية إلي أن جاء القرآن وأبطلها. وقـــد ادعيت القدسية لسيادة الفرعون وســـيادة النمرود. لكن القرآن مع الأسف الشـــديد أسقطهما عن سيادتهما. أما أن يجيء اليـــوم أحد المنتسبين للأزهر ويتحدث عن قدسـية تضاف لأحد الأشخاص تطوع هو بتسميته إمام المسلمين فأقل ما يقال فيه أنـــه ذوق سقيم لأن حكاية قدسية الأفراد أصبحـــت موضة قديمة جدا عفا عليها الدهر. وقـــد كانت القدسية في الماضي تخفي علي بعـض الاصنام المحترمين أما الآن وبعد فيلم نـــور الشريف المعروف فلم يعد هناك محـــترمون لأن نور الشريف كان آخرهم وبالتـــالي لم يعد هناك مجـــال للقدســـية إلا إذا كـــان المقصود بالقدسية ليس التقديس والعبـــادة والإجلال بل القداسة التي هي لقب للبابـــا شنودة وحده وهو الذي يستحقه وحـــده وذلك بمعني التوقير والاحترام. حـــرام أن يصل التزلف الوظيفي إلي هذا الحد.

ثم هناك موضوع آخر وهو أن الســـيد الفضـــالي ينفي أن يكون أحد معارفه قـــد قدم بلاغا ضد الدكتور طنطاوي ويوحـــي بأن التقدم ببلاغ أو اللجوء إلي القضـــاء

والنيابة أمر ينـــاقض الـــود والاحـــترام والامتنان ضد المشكو في حقه ولا يليـــق بمكانة إمام المسلمين ولكن مارأي الســـيد الفضالي أن الدكتور طنطاوي نفسه قد قدم في يومين متتالين بلاغين ضد الدكتور يحيـي إسماعيل وغيره كما سبق له التقدم بســـيل من البلاغات وقضايا السب والقذف ضـد خصوم فكريين آخرين كما سعي في حـــل المجلس المنتخب لجبهة علماء الأزهر. فمـــا هو موقف هذا الســـيل مـــن البلاغـــات والقضايا في عملية الود اللائـــق بعلمـــاء الأزهر؟!!.

الأزهر والألفية

الألفية التي نتحدث عنها هنا ليســـت هي ألفية بن مالك أو ألفية الأزهـــر بـــل الألفية الثانية الميلادية! ففي مقال بجريـــدة الأهرام في ٢١ سبتمبر وفي صفحة شـــئون التعليم والجامعات والتي دعا أحد كتـــاب الأزهـــر وبحـــرارة وإلحـــاح غريبـــين إلي الاحتفال بما أسماه بالألفية الثانيـــة لميـــلاد المسيح التي ستحتفل بها الـــدول الغربيـــة وذلك لإعطاء صورة متسامحة عن الإســـلام وكأن تنظيم هذا الاحتفال هـــو الســـبيل الوحيد لاظهار تسامح الإسلام رغم كـــل تصريحات المسئولين المعنيين وغير المعنيـــين عن هذا التسامح المشهور الذي لا ينطبـــق إلا علي الكنائس وأتباعـــها والصهيونيـــة وأنصارها ولا ينطبق أبدا علي المســـلمين الذين لهم حد السيف فقط ولهم الشـــتائم المشهورة مـــن أئمـــة العصـــر والأوان باعتبارهم كلاب أولاد كلاب أو خونة الخ.. وهذا المقال الغريب والذي توجه فيه الدعوة الشبيهة بالأمر إلي الأزهر واضـــح أنه صادر عن جهات عليا وكأنـــه بـــالون اختبار أو تمهيد نيراني قبل اصدار الأوامـــر العليا إلي الأزهر بموظفيه الحاليين لإقامـــة الأفراح والليالي الملاح بمناســـبة الألفيـــة الثانية وذلك لكي نصبح متحضرين تمامـــا مثل الخواجات الذين ســـوف يحتفلـــون (بـــالطبل والزمـــر) والألعـــاب الناريـــة والإلكترونية ولست ادري كيف سـيحتفل الأزهر بهذه الألفية الثانيـــة الميلاديـــة. إن الكنائس الغربية والشرقية الكبري ترتـــب

احتفالاتها بهذه المناسبة عبر التسابق علي التنصير أو التبشير بين الشعوب الغربية والشرقية وفي العالم الثالث. وهم سوف يحتفلون بها علي طريقة كسب الأتباع واجتذابهم إلي الصليب المقدس وابن الرب. ولست أدري هل سيستطيع الأزهر التبشير بالنصرانية وكسب الأتباع لها أم لا. ولا يعني ذلك أن الأزهر لاسمح الله سوف يرفض أو يمتنع عن نشر المسيحية فهو في عهده الذهبي يؤمن بالمسيح والكاثوليكية السمحاء والبروتستانية السمحاء بفضل جهود الدكتور علي السمان المباركة. لكن المشكلة هي أن الأزهر في عهده الذهبي قد فقد الفكرة عموما علي الاقناع وكسب الاتباع لا للنصرانية الكنسية ولا للصهيونية وتفرغ لرفع القضايا الكيدية وإرسال البلاغات تتري إلي النائب العام وذلك من شأنه أن يفسد أو يعرقل الاحتفال المناسب بالألفية الثانية الميلادية.

وقد ذهب صاحب المقال المشار إليه إلي أن الإسلام يتفق مع المسيحية حول ميلاد المسيح وإن اختلف حول وفاته. ولكن المشكلة هي أن المسيحية نفسها تختلف مع نفسها حول هذا الميلاد للمسيح. فهناك الخلاف المشهور حول تاريخ الميلاد نفسه بل حول العام الذي حدث فيه والبعض يرجع هذا العام الي ماقبل التاريخ الساري بحوالي العشرين عاما أو أكثر (مما يعني أننا لم نصل بعد إلي الألفية الثانية أو تخطيناها كثيرا) وهناك الخلاف حول طبيعة المسيح وهل هو إله وإنسان أم إنسان فقط أم إله فقط. أما الخلاف حول الوفاة فهو أيضا دائر داخل المسيحية ذاتها. ولكن كاتب المقال المشار إليه حول المسألة إلي مجرد خلاف حول وفاة المسيح وهل كانت صلبا كما تذهب الفرق المسيحية في معظمها أم رفعا إلي السماء كما يذهب المسلمون. ولكن ليس هذا هو الخلاف الجوهري إنما الخلاف الأساسي هو في طبيعة المسيح وهل هو إله أو أبن إله.. إلخ ؟ أم نبي بشر رسول؟ كما أن هناك خلافا آخر حول الاعتراف المتبادل . فالإسلام يعترف بوجود المسيح ونبوته وكتابه (الإنجيل) أما المسيحية فلا تعترف بالإسلام أصلا ولا بنبيه ولا بكتابه، وعلي أحسن الأحوال فإن ما يتم هو نوع من تقديم

الاحترام السطحي لاعتبارات معروفـــة . وعلي ذلك فإن احتفال الأزهر بالألفيـــة الثانية قد يكون نوعا من التطفل والتقحـم علي حفلات الغير بدون دعوة لاسـيما أن صاحب هذا الاحتفال غير معترف به مـن الآخرين فضلا عن أنه يخالفهم عقيدتهم في المسيح جوهريا. ولا أظن أن صاحب المقال المختص بشئون التعليم قد جال في خـلطره أن يكون احتفال الأزهر بالألفية الثانيـــة الميلادية علي سبيل انتهاز الفرصة لطـــرح المفهوم الإسلامي عن المسيح علي العـــالم. فلا يمكن أو يتصور بحال تحـــت أوضـــاع التبعية الراهنة والعلاقات المعروفة مع دول الغرب أن يسمح الحكام بتنظيم مناســـبة يقول فيها الأزهر للغرب ووسط احتفالات كنائسه بفتوحات التبشـــير والتنصـــير أن عقيدتهم في الألوهية فاسدة وأن المسيح هو كذا وكذا الخ. إن الحكام لا يمكـــن أن يسمحوا بأن يضـــع الأزهـــر كرســـيا في كلوب الاحتفال الخواجاتي بالألفية ولـــو حدث هذا لانتهي العصر الذهبي المشـــهور الذي تحدث عنه الدكتور زقزوق ولفقـــد العالم المتحضر والمستنير صاحب البســـمة الوديعة البشوشة وفقد معه كهنة الحـــوار مع الكاثوليكية والصهيونية. إذن المخـــرج الوحيد للأزهر في سبيل الاحتفال بالألفيـــة الثانية هو المشاركة في الزفـــة الإعلاميـــة الغربية والإسراف في التصريحات والخطـب والمواعظ التي تمدح كنائس الغرب وتبـلرك ولو ضمنا جهودها في نشر الكاثوليكيـــة والبروتستانية بين العالمين. وعموما فلاشيء يستبعد في ظل العهد الذهبي ولله فى خلقـه شئون .

الأدب فضلوه عن الإعلام:

في ٢٠ سبتمبر الماضي أدلي المستشـــار الألماني هيلموت كول بحديث أعرب فيـــه عن تقززه واستيائه من التغطية الإعلامية في بلاده وفي الغرب عموما لتفاصيل حكايـــة كلينتون ومونيكا مع التركيز علي الدقـلئق الجنسية والإباحية التي يندي لهـــا الجبـــين وينفر منها الذوق والطبع السليم والفطـرة النظيفة.

وفي اليوم التالي مباشرة وعند الإعلان عن شريط الفيديو المسجلة عليه شهادة كلينتـــون

أمام لجنة المحلفين الكبير حول قضيـــة قـــالت شبكات التليفزيون الأمريكية الكبري إنها لـــن تذيع الشريط مباشرة علي الهواء بل ســـوف تراقبه أولا لحذف ما تراه يخدش الحيـــاء فيـــه بالنسبة للمشاهدين صغارا أم كبـــارا (أي والله حدث هذا في أمريكا المتحررة). أما في مصـــر فقد سارعت عشرات الصحف المجهولة الـــتي أعطيت لها وحدها التراخيص بسهولة وقدم لهـا الدعم الجزيل إلي نشر تلك التفاصيل المقـــززة بإسراف والتسابق عليها والاضافة إليها مـــن عندياتهم. ولم يعترض أحد ولم يتحدث أحد عن الفضيلة والأخلاق والقيم من الذين اعتبروا أن مجرد ابداء الرأي في قضايا وطنية ودينية مشـاره هو قلة أدب وتطاول علي مقام (فلان وهيبـــة علان). ولم يكن غريبا أن يتم الصمـــت عـــن الفضائح المنشورة فالخطة العامـــة في الإعـــلام بأشكاله هي نشر موجة من الاباحية والإثـــارة الجنسية موجهة أساسا للشباب بهدف تحريـــك وتفجير الغرائز المكبوتة وغير المكبوتة وتحقيـــق مايصفونه بالثورة الجنسية أو التحرر الأخلاقي. ولم يعد غريبا في ظل العري وموجات الإباحيـــة الجنسية التي تطل من كل مكان علي الشـــعب المصري لترع الطابع الديني والسياســـي عـــن تفكيره وشعوره . أن تمـــر موجـــة فضـــائح كلينتون مع مونيكا وتحولها الي شريط جنســـي دون أن يعلق عليها أحد من الذين انشـــغلوا بالهجوم علي علماء المسلمين ورفع القضايـــا ضدهم ولا الذين انشـــغلوا بـــالتطبيع مـــع الصهاينة ولا الذين انشـــغلوا بمحـــو هويـــة وأخلاق الشعب المصري في الوجود ولا الذيـن انشغلوا بالنهب والســـلب والـــثراء في ظـــل الاقتصاد السايب. وهذا كله صمت طبيعـــي ولكن ما هو غير طبيعي أن يخرج علينا في ظـــل ذلك كله من يعطي الـــدروس والمواعـــظ في الأخلاق والقيم التي يعني بها الهجوم علي مـــا يسمونه بالتطرف الإسلامي فقط ووحده .

آخر كلام:

تدبير الوقيعة بين إيران وأفغانستان وبين مصـــر والسودان وتحالف تركيا وإسرائيل ثم ضـــرب ماليزيا اقتصاديا وسياسيا وتدمير إندونيســـيا وخلق تحالف صريح معاد للإسلام في وســـط آسيا تحت شعار مكافحة الإرهاب الإعلامـــي (وحده) يضم دولا إسلامية فقط (!) كل هـذه التحركات الجارية فيها يد أمريكـــا والغـــرب بكل إعلامه ودوائره الاقتصادية والسياســـية والفكرية واضحة للغاية ولكن مايزال كهنـــة وأبالسة اللادينية المســـيطرين علـــي وســـائل الاعلام عندنا يتعامون عن هـــذه التطـــورات ويصرون علي أن القضية الوحيدة التي تواجهنا هي مكافحة ما يصفونه بالإرهاب الإســـلامي وأن القضية الاستراتيجية هي فقـــط تحســـين صورة الإسلام في صحف الخواجات من خلال مواعظ دكاترة العصر الذهبي يا للخيانة !!.

سبر قوى

• توقع الدكتور طه هاشمي عضو هيئة الرئاسة بمجلس الشورى الإيراني عودة العلاقات الطبيعية الكاملة بين مصر وإيران هذا العام

• أعلن المهندس ماهر أباظة وزير الكهرباء والطاقة المصري أن مصر ترحب بالعلماء العرب للتدريب بالمفاعل النووي

• حذر البرلمان المصري حكومة الدكتور كمال الجزورى من الموافقة علي إقامة مشروعات سياحية إسرائيلية بسيناء.

• منعت الحكومة المصرية رسميا سفر العمالة المصرية إلي إسرائيل وألغت تراخيص الشركات التي توسطت فيها.

• تحاول الحكومة الأمريكية إجبار الدولية للطاقة الذرية عن تمويل مفاعلين نوويين تبنيهما إيران بحجة أن هذين المفاعلين يمكن أن يستخدما في الأغراض العسكرية.

• أصدر مجلس شوري الإخوان المسلمين في بريطانيا دراسة تطالب بوقف العمليات المسلحة ضد السياح والمدنيين باعتباره عملا تحرمه الشريعة الإسلامية.

• أحبطت جامعة

إسرائيلية لتزييف التاريخ واستغلاله لصالحها تحت ستار البحث العلمي, والمحاولة كانت عبارة عن دراسة حول الوثائق اليهودية القديمة في مقابر الفسطاط والمعبد اليهودي بالقاهرة.

أقامت شركة زراعيم الصهيونية سوقا بالنوباريسة لتوزيع ما يحتاجه المزارعون من تقاوي ومبيدات ومعدات وشتلات وذلك برغم تحذير خبراء الزراعة المصريين من خطورة ذلك علي الزراعة المصرية.

- تبحث القاهرة التقدم بشكوى ضد إسرائيل إلي الوكالة الدولية للطاقة الذرية في حالة ثبوت تسرب نووي إسرائيلي للأراضي المصرية.
- قررت الحكومة الإسرائيلية زيادة مخصصات وزارة الدفاع في الميزانية الجديدة إلي مليار ٣٥٠ مليون دولار.

- اتهمت وزارة الشئون البيئية في الدانمارك إسرائيل بإلغاء نفايات سامة في مياه البحر الأبيض المتوسط.
- أعلنت مصادر فلسطينية مقربة من حركة حماس أن السلطة الفلسطينية تحاول عزل الشيخ أحمد ياسين وأنها تمنعه من الحديث لوسائل الإعلام العالمية.

نحو وعى سياسى

احذروا الصهيوصليبية

البعث الإسلامي ومواجهة البعث العربي

هل كانت الحروب العراقية الإيرانيـــة مواجهة بين البعث العربي والبعث الإسلامي ؟ تساؤل لا أريد عليه إجابة ونترك الإجابـة إلي مبدأ (اســـتفت قلبـــك). وبـــاختلاف القلوب تختلف الإجابات . ولكـــن الـــذي نريده هو تحديد أن هنـــاك قوميـــة عربيـــة إسلامية وقومية عربية غـــير إســـلامية وأن التفريق بينهما يختلط جدا الآن في أذهـــان العرب المعاصرين .هناك قومية عربية قبـــل الإسلام وهناك قومية عربية أيام الرســـول صلي الله عليه وسلم وصحابته وهناك قومية عربية معاصرة تتعنـــون بعنـــوان (البعـــث العلمى) .

والقومية العربية القائمة قبل الإســـلام وصفها الرسول وصحابته بأنهـــا جاهليـــة ترفض الاقتناع وتنغمس في التعصب لذاتهـا مع أنه كان فيها ميزات حســـنة كـــالكرم والغيرة علي العرض وعلي الأرض حتي أن الرسول (صلي الله عليه وسلم) نفســـه امتدح حلف الفضول وقال إنه لو أدركـــه لاشترك فيه. ولكن كل هذا محاه شيء واحد هو (التعصب) ويفتخرون بهـــذا التعصـــب ويبررونه بأنه تعصب للعروبة .. للأصـــل .. للنسب .. للعشيرة . والتعصب معناه عمليا توقف وتحجر العقل.

وتحجر أي كائن لا يتأتي إلا بعد المـــوت . أما مع الحياة فلابد من تطور وأخذ وعطاء واستهلاك وإفراز . وبناء وهدم ، وتحويـــر وتطوير.

القومية العربية قبل الإسلام – والـــتي سميت بعد ذلك (جاهلية) يمثلها أعمام النـــبي نفسه أبو جهل وأبو لهب. وهكذا تـــري أن الخط الفاصل بين الإسلام والجاهلية خـــط دقيق جدا ومن الواجب تبينه والحذر منـــه . فالقرآن لم يتوعد أشـــخاصا مـــن عـــرب

الجاهلية بالويل والثبور أكثر ولا أوضح من أبي لهب (تبت يدا أبي لهب وتب).

الله عليه وسلم) قال : "لا فضل لعربي علي عجمي إلا بالتقوي" والنص علي أن كل من نطق العربية (بقراءة القرآن) فهو عربي!! وأنه طبق عمليا هذا المبدأ ليس فقط في تقريبه لسلمان الفارسي وبلال الحبشي وصهيب الرومي (في مجتمع لم يكن يزيد عدد المسلمين فيه عن ٣٠) ولكنه نفذه تنفيذا عبقريا انفرد به دون زعماء التاريخ كله : بمسألة المآخاة بين المهاجرين والأنصار .. لأن معني هذه المؤاخاة شيء واحد لا ثان له : معناها أن أخوة الإسلام هي فوق أخوة الدم. وبناء علي هذه القاعدة الحاسمة القاطعة يصبح إخاء الإسلام فوق الإخلء في القومية الواحدة (أيا كانت القومية هذه) وفي الوطن الواحد (أيا كان هذا الوطن). هذه حقائق حسابية لا تقبل جدلا ولا تأويلا إلا أن يلتوي بك هواك . والهوي يهوي بصاحبه دون غيره . والهوي هوان ولو كان صاحبه ملكا. فهذا الملك قد يرمي به الهوان

ولعل من أبرز "إنجازات" الثورة المحمدية " في رسالتها الإسلامية هي النص الذي لايختلف عليه اثنان من أن الرسول (صلي تحت أقدام خادمته أو خادمه .. فهو في الظاهر ملك وفي الباطن عبد لخادم .

هذا عن القومية العربية الجاهلية مقارنة بالقومية العربية الإسلامية . فماذا عن القومية العربية المعاصرة. أو القومية العربية لما بعد الإسلام وبعبارة أصرح " البعث العربي "؟

الحق أن الإسلام كان قد ألجم عصبية العرب لعروبتهم . بل كان الإسلام أنساهم عروبتهم هذه . بل كانوا بعد الإسلام يستحيون منها ويبرأون من سيرتها ومن ذكراها ويعتبرون أن الله من عليهم وأنعم عليهم بما هو خير منها.

ولكن بعض العرب ظلت فيهم جاهلية مستترة. وذرت هذه الجاهلية عن قرنها بمجرد وفاة الرسول (صلي الله عليه وسلم) وكانت الردة : ويهون مؤرخونا الحاليون من شأن الردة ويصورونها علي أنها مجرد امتناع عن الزكاة معتمدين علي مقولة أبي بكر والله لو منعوني عقال معير

كانوا يؤدونه إلي الرسول صلي الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه " . الواقع أنها كانت ردة عارمة شاملة بدليل أن عمر نفسه خاف من مغبة محاربة هذه الأكثرية الغالبة فقال له أبو بكر المقولة السابقة من باب التأكيد والتصميم علي محاربة الردة عن الإسلام حتي لو تقلص هذا الارتداء إلي مجرد الامتناع عن تأدية عقال بعير لبيت المال. وهذه التأدية لعقال البعير هي مجرد رمز للخضوع للسلطة والإقرار لها بالسيادة.

لهذا أظن أنها كانت ردة شاملة إلا من عصم ربك. وليست مجرد بخل بالمال.

والدليل الثاني والأكثر وضوحا هو ارتداد الأمويين عن الخلافة الراشدة إلي الملك العضوض المبني علي التعصب والقومية العربية. ولاتزال هذه الأموية الملوكية الحاكمة تحكم "العالم الإسلامي" إلي اليوم .

ومابين الردة وبين الانقلاب الأموي هناك بعض الإرهاصات بالانقلاب ضد الإسلام. هناك اغتيال علي وقبله عثمان وقبله عمر.

إذن كان الإسلام – في رأيي – يعاني من هذه القومية التعصبية منذ وفاة الرسول (صلي الله عليه وسلم) ومن ثم ندرك صعوبة تنقية وتخليص الإسلام من التعصب لهذه العروبة كقومية ولكنها خطوة ضرورية في طريق الوصول الي الدين الخالص. وما لم تتم لا يتم خلاص أو تخليص الإسلام.

جاءت الأموية ومعها الملوكية أو الملك العضوض. وتوقف قتل الخلفاء لأن العنصر العربي حقق لنفسه حلمه بالقفز إلي الحكم من أجل الحكم لا من أجل الإسلام (كان الراشدون لايهدفون من الحكم إلا خدمة الإسلام).

وتوقف المد الإسلامي. وبدأ التعصب العربي ولكن كانت قوة الدفع الإسلامي لاتزال قوية حتي حققت "الفتح الإسلامي " لكل العالم القديم تقريبا في خلال مئة عام فقط. ومن ناحية أخري فإن الأموية الملوكية التي ظلت سائدة إلي ١٩٢٤م ظلت محتفظة ولو صوريا بنظام الإمامة العظمي أو الخلافة. وهذه الإمامة العظمي هي كالمخ والجهاز العصبي مهما شاخ أو

مرض الجسد إلا أنه يظل محتفظا بعلامات الحياة. في نفس الوقت كان الغرب قد خرج من العصور الوسطي المظلمة وحقق اكتشافات رأس الرجاء الصالح الذي نفذ عبره إلي التجارة الدولية واكتشف أمريكا واستراليا. وتطور إلي ثورة الفحم والبخار والنفط والذّرة ، فحقق حلمه الذي عز عليه تحقيقه خلال الحروب الصليبية ، طوق ذراعه حول الأموية الإسلامية أولا. وفيما بعد اعتصرها.

حقق حلمه ضد الإسلام خلال الحرب العالمية الأولي : ولذلك قال إللنبي : (أحد كبار القادة في الحرب العالمية الأولي) اليوم انتهت الحروب الصليبية وقال جورو رافسا قبر صلاح الدين ها قد عدنا يا صلاح الدين – والحق أن الحرب العالمية الأولي تبدو وكأنها لم يقصد بها إلا تمزيق وسحق العالم الإسلامي كله – أسقطوا الخلافة ، وخلوا كل شبر في الأرض الأموية وطردوا الخلافة الإسلامية من الأندلس ثم شرق أوربا ومن كل جزر البحر الأبيض ومن منابع النيل ومن الخليج ومن الصين والقوقاز ورفعوا أعلامهم فوق بغداد ودمشق والقاهرة ومراكش والخرطوم وعدن وسمرقند ودلهي. وأقاموا إسرائيل علي أنقاض الخلافة. ومكنوا لإسرائيل المال والسلاح والمهاجرين والتأييد السياسي والسلاحي وظهرت مذاهب كالمسيحية الصهيونية وتبرئة اليهود من دم المسيح وبدأت أول خطوة وفاق بين روسيا وأمريكا في اعتراف كل منهما بإسرائيل في ١٥ مايو ١٩٤٨. وتوالي الوفاق بينهما حبا في إسرائيل وكرها في الإسلام فقط.

هذه إذن مسيرة القومية العربية إلي مرحلة قيام إسرائيل أي مرحلة الحرب العالمية الأولي أي مرحلة اغتيال الخلافة الإسلامية العثمانية عام ١٩٢٤.

وبدأت المرحلة الثالثة من القومية العربية. المرحلة الحديثة المعاصرة. التي بدأت بالشريف حسين بن علي شريف. وبلغت ذروتها في عهد عبدالناصر. علي أن أقصاها وضوحا وأعلاها صوتا هو ما يسمي البعث العربي. وهو يتلخص نظريا في الآتي :–

الأمة العربية هي التي أنجبت محمـــــدا (صلي الله عليه وسلم) وليس محمد هـــــو الذي أنجب العرب . فالعرب قادرون علي إنجاب من هو مثل محمد وأحسن من محمـد أيضا.

ومن هنا يصبح الإســـــلام غـــير ذي موضوع. فالموضوع كله هو العروبـــــة في حد ذاتها. وأصبح الافتئات علي الإســـلام أمرا سهلا حتي أن ميشيل عفلق صـــاحب النظرية التي قلناها الآن اعتبر مســـــلما و دفن في مقابر المسلمين. وحتي إن كثيرا من السياسيين الآن يخلطون الإسلام بالعروبـــة عمدا ويجعلونه في خدمة العروبة سياســـيا كحق أريد به باطل .

وهذه النظرية التي تغيـــب الإســـلام خدمة للعروبة هي أشد خطرا من عروبـــة الجاهلية ، فالجاهليون تميزوا بالغيرة علـــي الأرض والعرض وبالكرم وببعض الصفات الحسنة ، أما العروبة المعاصرة فهي ســـلاح صليبي خالص ومتطور علي أحدث وسائل الفتك السياسي بالإسلام ذاته.

هذه القومية العربية الثالثـــــة (وهـــي المعاصرة وهي البعث العربي). بدأت بوعد العرب بخلافه عربية بديلا عن التركيـــة. ثم تضاءل الي وطن عربي مستقل لحسين بـــن علي. ثم يتضاءل حاليا إلي تفتيت لبنان إلي كانتونات والعراق إلي ثـــلاث دويـــلات والشام تفتت أصلا إلي فلسطين وســـوريا ولبنان وسيفتت أكثر من ذلك والسـودان يريدون تفتيته إلي شمال وجنوب. وهنـــاك من يحلم بتفتيت مصر نفسها. وأمين سـابق للأمم المتحدة كان يتنبأ بتفتيت دولي يصل إلي ٤٠٠ دولة سيكون معظمها طبعا مـــن العالم العربي.

هذه القومية العربية الثالثة جنين سفاح زرع في رحم العالم العربي. وهـــي قنبلـــة موقوتة وضعت داخل دار الإسلام. هـــذه القومية وسوسة شيطان تمثل في ستة مـــن خريجي كلية بيروت التبشيرية في أوائـــل الحرب العالمية الاولي واحتضنتهم بريطانيـا واحتضنت دعواهم بفرض هدم الخلافـــة الإسلامية العثمانية علي أساس أنها بديـــل زائف يقدم للعرب لينسوا بـــه الرابطـــة الإسلامية. بدأوا دعواهم بـــأن تكـــون الخلافة عربية.لا تركية. ثم تدرجـوا إلي أن اللغة العربية هي أهم شـيء لأنـــك إن لم

تتقن العربية لن تفهم الإسلام. ثم تدرجوا إلي جعل اللغة العربية قضية سياسية وليست مجرد لغة. ثم تدرجوا إلي جعل اللغة العربية ومفهومها القومي يواجه ويصادم الإسلام . وهذه المرحلة الأخيرة مرحلة المواجهة بين العروبة والإسلام تحتاج إلي خبث شديد وكهانة عميقة ونفاق متقن لا يباري هيأه لهم ميشيل عفلق الذي بدأ بتمييع الإسلام بالكلام عن محمد (صلي الله عليه وسلم) في مولده وانتهي بهدم دولة محمد في العالم العربي. كان هناك صليبيون آخرون مثل أنطون سعادة توقف عند فكرة القومية دون أن تسعفه كهانة ميشيل عفلق ليصادم الإسلام بالقومية. وكان هناك صليبيون آخرون يلعبون هنا وهناك تحت شعارات مثل "الوطنية" أو "التقدمية" أو "اللحاق بالغرب" إلخ وكلهم يبطنون في أعماقهم هدفا محددا. هو اسقاط نظرية الخلافة أو الإمامة العظمي أو الإسلام السياسي.

وبلغ التمثيل أوجه من الإتقان بأن ظل هؤلاء الصليبيون في خلفية المسرح ودفعوا إلي صدر المسرح بالأوجه العربية وزعماء الوطنية . ولعبت الصحافة التي كان يملكها نصاري العرب في كل الوطن العربي دورها الهادىء المتزن دون إثارة أي شكوك حتي تم الزحف علي الإسلام.

ويعجب الإنسان الآن من شعارات ملأت السماء يوما ثم تبخرت. شعار الهلال الخصيب. أين هو الآن ؟ شعار سوريا الكبري. أين هو الآن ؟ المملكة المتحدة أين هي الآن ؟ الهاشميون وعروشهم أين هم الآن ؟ بل الجامعة العربية ذاتها ماذا فعلت للعرب أكثر مما فعلت لليهود ؟ بل أين وحدة وادي النيل التي كانت قائمة منذ الملك مينا فلما لحقتها فكرة العروبة وجامعتها العربية في عاصمتها العربية ضاعت وحدة وادي النيل التي كان ملك مصر ينص لقبه علي أنه ملك مصر والسودان وهرر وزيلع ومصوع .

وهزيمة واحدة من هذه الهزائم كانت كقبلة بمراجعة النفس. ولكن القومية العربية المعاصرة كالماء المالح لاتزيد صاحبها إلا عطشا للماء المالح أو كالخمر

التي يداوي مدمنها بها هي نفسها .. كما قال الشاعر عن الخمر الخمر : وداوني بالتي كانت هي الدواء .

كان ضياع القدس بعد ٦٧ كفيلا بالتوجس من خط هذه القومية. كان كارثة غزو العراق للكويت كفيلا باسقاط الرابطة العربية ، إنما كان رد الفعل هو إما المطالبة كعلاج للكارثة بمزيد من القومية العربية ، وإما المطالبة بالمصلحة الفردية. إنما الإسلام لم يفكر فيه أحد كعلاج. بل اعتبره البعض خطرا علي الديمقراطية واعتبره البعض إرهابا ضد الدول . وكأن عندهم ديمقراطية يخشي عليها أو كأنهم لم يقتل أخ أخويه إرهابا ولاسم زعيم صديقه إرهابا . ولا..ولا

وبعض من فكر في الإسلام زيفه.. حاول تبرئة سلمان رشدي. ولو نجح لجعله شيخ طريقة أيضا.. وحاول بعضهم إضفاء القدسية علي نفسه بدلا من التضحية في سبيله (أي الإسلام) وحاول بعضهم تزييفه بالطبل والقرع والله يعلم ما يبطئون.

وأصبحنا أمام بعث إسلامي ينمو ضعيفا من أسفل إلي أعلي في مواجهة قومية عربية تفرض من أعلي إلي أسفل . بعث إسلامي من زعماء عزل في مواجهة أنظمة لها أنياب ومخالب ومشانق ومسالخ وسجون . بعث إسلامي محاصر داخل معتقلات في مواجهة اذاعة وتليفزيون وأقمار صناعية تنطلق عبر السموات وتدخل عبر كل البيوت لتدعو للقومية وفرسانها. لقب إسلامي داخل سجون يمنع عنها الماء بالأسبوعين والثلاثة إلا من قطرات . في مواجهة سيارات مرسيدس تهدي إلي صحفيين وقصور وفيلات تملك لهم مجانا. بعث إسلامي يتمثل في شباب لايجد مايقرأه في المعتقلات إلا مصحفا مهربا في مواجهة مؤتمرات أمنية دولية ومؤتمرات اعلامية دولية تحشد لها وداثرة معارف وتقارير خبراء ومعلومات كمبيوتر وأموال وسلطة وإغراءات.

بعث إسلامي يواجه بالمحاكم والنيابات والسجون وزبانية تعذيب في مواجهة أبطال قوميين تقام لهم تماثيل واحتفالات وتخليد وعطايا وحسابات بالملايين ويسكنون القصور وأطفال في أغلي المدارس.

ولكن ذلك كله تكرار لقصة موسي في مواجهة فرعون. تتكرر دائما بنفس التفاصيل ونفس النتائج. ولابد أن ينتصر موسي علي فرعون لايتعظ أبدا.

ورغم أن الذي يعطي زخما للحركة الإسلامية هي أخطاء القومية والقوميين وانتكاسات القومية والقوميين وهزائم القومية والقوميين – ليست الهزائم العسكرية في مواجهة إسرائيل فقط وليست الخضوع للهيمنة الإسرائيلية في المجال السياسي فقط – ولكن حتي في نظر الغرب الذي يتحالفون به ومعه في نظر الغرب سقطوا – فأمريكا إلي هذه اللحظة تصر علي أن الدولة الوحيدة الديمقراطية في الشرق الأوسط هي إسرائيل – دون أي دولة عربية أخري (وعندها آلاف الأدلة إلي جانب اللاجئين السياسيين إليها)

ورغم أن القوميين أخطأوا بحسن الظن بالغرب : صدام أخطأ وهو يحس الظن بهم في غزة للكويت وعبد الناصر أخطأ في عدم ضرب الضربة الأولي عام ٦٧. وياسر عرفات أخطأ في الاعتراف بإسرائيل قبل أن تعترف هي بفلسطين رغم كل هذه الزلات القاصمة لايزال القوميون يرون أنفسهم أهلا لمحاربة الإسلام وطرده من عواصمه الإسلامية سواء بالجيوش أو بأجهزة الأمن أو بأجهزة الإعلام أو بعلماء السلطة.

علي أن هناك عواصم أعلنت انحيازها للإسلام دون القومية وكلها خارج نطاق العرب.

إيران. أفغانستان. لبنان، الجمهوريات الإسلامية الروسية سابقا، جمهورية البوسنة، كوسوفو، وتمثل الحرب العراقية الإيرانية قمة المواجهة بين البعث العربي والبعث الإسلامي وستلحق هذه الحرب تاريخيا ببدر وأحد وخيبر. وكما كان لليهود القدامي دور في تأجيج الحرب ضد الإسلام في مهده فلا يزال هناك دور آشد للصهيونية والصليبية المتحدين معا في تأجيج الحرب المعاصرة ضد الإسلام ذاته (وعني أسميها لك صهيوصليبية).

ومع ذلك فالإسلام حقق للعروبة مالم تحققه القومية العربية أو البعث العربي!

تحت ظل الخلافة حتي وهي غير عربية كان هناك وحدة عربية فعلية كان ابن بطوطة وملايين أمثاله يجوبون العالم العربي من طنجة إلي سمرقند بدون جواز سفر ولا جمارك ويعتمد علي دور الضيافة والتكايا الإسلامية والإخاء الإسلامي. كان البريد يحمل من دمشق إلي القاهرة علي الخيل في ٤ أيام فقط أي أسرع من البريد الجوي الحالي بين نفس العاصمتين ، كانت السحابة تمطر في طنجة فيأكل ثمرها أهل الصين والهند. كانت السوق مشتركة من طرف آسيا الأيمن إلي طرف إفريقيا الأيسر. كانت الدماء والأنساب والأفكار والثقافات متبادلة وفي خدمة الفرد ، فلم تتحقق وحدة عربية فعلية إلا في ظل الإسلام فقط.

كانت العاصمة تنتقل من مكة إلي المدينة إلي دمشق إلي بغداد إلي قرطبة إلي القاهرة إلي اسطنبول دون أي حساسية بين العاصمة السابقة واللاحقة ودون أن يكون هناك منهزم ومنتصر.

كانت "الأمم المتحدة" فعلا متمثلة في هذه الدولة. كانت الاشتراكية متمثلة في هذه الدولة كانت الديمقراطية فعلا متمثلة في هذه الدول. كانت قمة التكنولوجيا مشهودا لها بما شيد من آثار في قرطبة والحمراء وسمرقند وكل مسجد يشهد بأنه من آيات التكنولوجيا. كانت التكنولوجيا متمثلة في ابن سينا وآلاف أمثاله وفي مستشفي قلاوون للعيون وآلاف أمثاله، وفي اكتشافات ابن النفيس وآلاف أمثاله. التكنولوجيا لم تتقدم إلا في ظل الإسلام.

الآن يقولون إن كل الخلاف بيننا وبين الصهاينة هو مجرد حاجز نفسي وهمي. أما ما بيننا وبين إيران فهو مجوسية وزندقة وإرهاب ضد الجنس العربي، بل إن جامعة الدول العربية في اجتماع خاص – قبيل انفجار ثورة أطفال الحجارة بأيام، أصدرت بيانا بأن إيران هي العدو وليست إسرائيل، وكان هذا سببا في انفجار أطفال فلسطين بثورة حجارهم ليأسهم من القادة العرب. وبعد انفجار الثورة طلب القادة العرب من الأطفال مهلة ٦ شهور لحل القضية سلميا!؟ علي أن يوقفوا هم ثورة الحجارة. أي توسيط العرب لصالح إسرائيل ضد صاحب الحق.

إن المتأمل في حال هذه القومية العربية المعاصرة لابد أن يذعر ويشعر نحوها كأنها

طفل تائه وضال أو مريض عنده صرع مستمر. فقد تقلبت كل يوم علي وضع . ولم يتحقق أبدا أي وضع منها. وأدي كل وضع إلي خسارة متتالية. ولا أحد يتعظ.

تقلبت من هلال خصيب إلي سوريا كبري إلي محاور (الهاشميين مقابل الآخرين) إلي جامعة عربية إلي وحدة بين مصر وسوريا تواجهها وحدة بين العراق والأردن. ثم تنفك وحدة مصر وسوريا ويتفاوض العراق ومصر وسوريا مرة أخري لوحده. وقبل ذلك كان هناك وحدة مضحكة بين مصر وامام اليمن ثم تنقلب مصر علي إمام اليمن ثم تعلن وحدة بين مصر وسوريا وليبيا والسودان ثم ينسحب السودان لظروفه الخاصة ثم تحل قطيعة بين مصر وسوريا ويدخل جيش السادات ليبيا غازيا. وتدوم قطيعة مؤلمة بين مصر وليبيا القذافي. ثم ترفع الحدود بين مصر وليبيا ثم يقاطع العرب كلهم ليبيا بقرار من مجلس الأمن (الذي لم يستشيروه عند اعلانات الوحدة). وهناك من ينادي بالوحدة ومن ينادي بالفيدرالية دون الوحدة ومن ينادي بأن أي قرار عربي لا يلزم الا صاحبه وكل هذه التقلبات تتم في حقبة واحدة وأحيانا في سنة واحدة وأحيانا بين غروب شمس وشروقها.

هذا صرع سياسي. هذا تشنج سياسي. هذا نتيجة تلقيح العقل العربي بالفكر الصهيوصليبي، هذا إجهاض للعروبة ذاتها حتي الجاهلية منها. هذا حال العقل العربي عندما يتخلي عنه الإسلام. يهزم صاحبه. تضيع أملاكه وثرواته وأوطانه. يهون علي الناس كلهم وتلاحقه الهزيمة في كل خطوة. ومع ذلك يتعالي علي المسلمين بدعوي "التخلف عن العقل". يا عاقل !! يا عاقل!! يرفض الجهاد ولو لفظا في أي موقف سياسي. ويعتبره تطرفا وإرهابا وتهمة يلصقها بأي خصم له في فعل هذا الجو تولد الخيانة : كان هناك حرب ٤٨ ضد اليهود ومنهم من يتصل باليهود في نفس اللحظة. كان هناك حركات تطالب بالاستقلال وفي نفس اللحظة منهم من يتصل بالمستعمر. وهكذا وهكذا. وأخطر من هذا كله أن يدعوا هم الإسلام وأن يطالبوا المسلمين بالخضوع لهم. وإلا صار إرهابيا ومتآمرا علي الدولة ويسود صفحة الإسلام أمام أوروبا. التي يعملون لها ألف حساب ولا يعملون للإسلام حسابا واحدا.

خلاصة الرأي أن هناك قومية عربية إسلامية. وقومية عربية "صهيوصليبية " .

القومية العربية الإسلامية. تتنازل عن كلمة العربية ولا تتنازل عن كلمة الإسلامية.

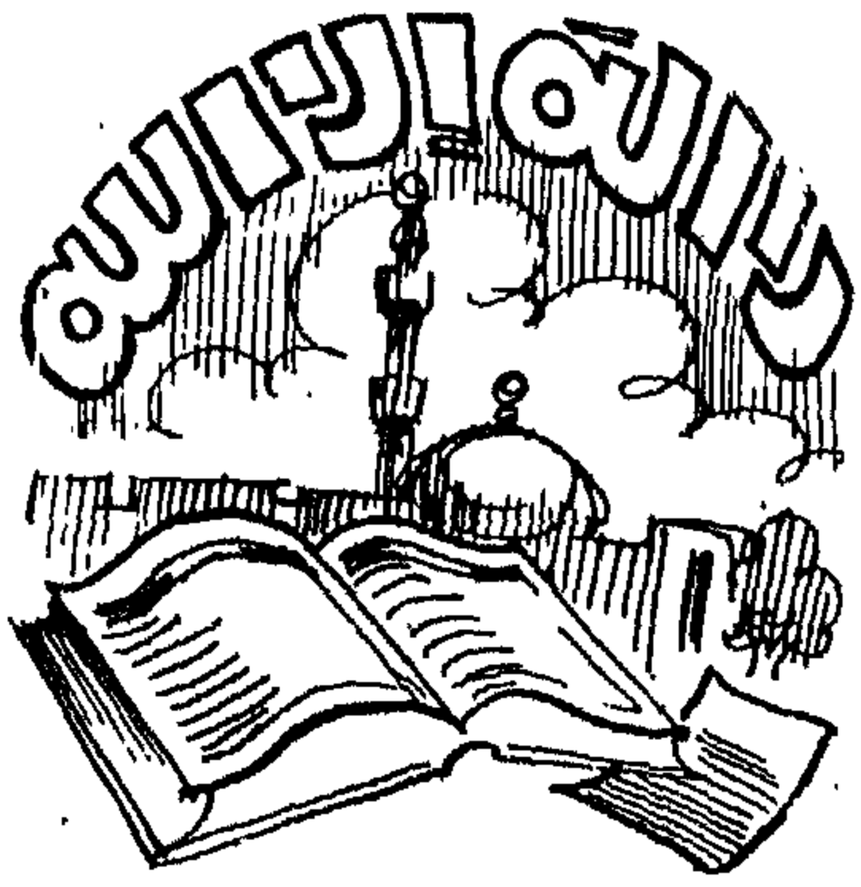

وتعتبر كل من يحب القرآن ويحب محمدا فهو عربي. لأن العروبة ليست بالأب والأم ولكنها بالانتماء للقرآن ولمحمد. وكل من نطق بآية واحدة من القرآن عن إيمان فهو عربي. وأن العروبة يجب أن تفهم علي أنها التقوي في كلمة الرسول " لا فضل لعربي علي أعجمي إلا بالتقوي ". فالعروبة هي التقوي.. ليس إلا.

أما القومية العربية الصهيوصليبية فهي من صنع الصليبية المعاصرة التي اندمجت في الصهيونية لاسقاط الخلافة وبناء إسرائيل ومنع عودة الخلافة أو الامامة أو أي صورة من صور الوحدة الإسلامية. وهي حريصة علي أن تخفي من عنوانها لفظ الصهيوصليبية وتحتفظ فقط بلفظ العربية. وهي القومية العربية الشائعة الآن. وهي مصيدة سياسية تصطاد ذوي المصالح المادية والشهوانية والمرضي بحب الحكم (حكومانيا) وذوي العاهات، وضحايا الشذوذ لتجعل منهم الصهيوصليبية قادة وسادة وصحفيين وكتابا وإعلاميين و(طبالين) ومحاربين ضد الإسلام "المتطرف".

إن الفطرة والسليقة والغريزة الطبيعية لدي رجل الشارع الإسلامي هي وحدها التي تميز بين العروبتين. فتعتنق العروبة الإسلامية وتنبذ العروبة الصهيوصليبية ويوما ما سوف تكنسها من ديار العروبة. وتعود العروبة بمعني التقوي

والله غالب علي أمره. وما النصر إلا للمؤمنين. وهزيمة القوميات تبدوا واضحة الآن .

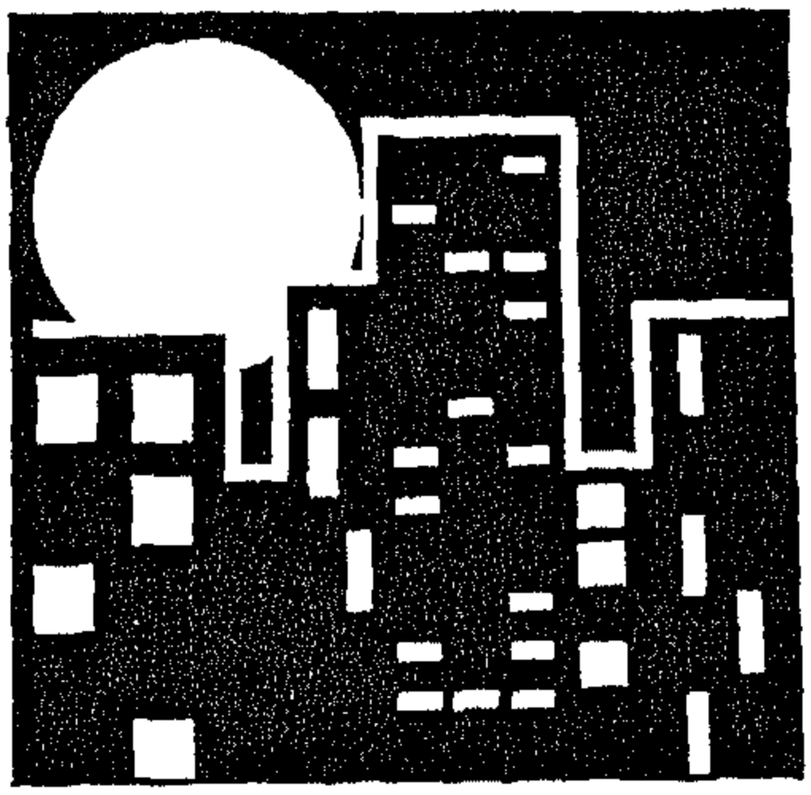

دكتور فهمي الشناوي

"الأمن الوقائي" الفلسطيني..

هل هناك نهاية لقاع "التعاون"؟

في معرض تعليقه علي قمة "واي بلانتيشن" التي عقدت في الولايات المتحدة بحضور عرفات ونتنياهو وكلينتون، يقول زبيجنيير بريجينسكي مستشار الأمن القومي في إدارة جيمي كارتر، والذي أسهم في إنجاح محادثات كامب ديفيد : إن الإعجاب الشخصي بين الزعماء المشاركين لا أهمية له ولا يلعب دورا في تحقيق نجاح أو فشل المحادثات. بيجن والسادات كانا يكرهان بعضهما البعض، كما كان بيجن يكره كارتر. كان السادات يريد أرضه وبيجن يريد شق الصف العربي وكارتر يريد اتفاقية. والسبب في نجاحنا في النهاية يرجع إلي إرادتنا في ممارسة ضغوط علي بيجين. فقد أمرت مساعدي ويليام كوانت بإعداد إعلان نصارح فيه الإعلام بأن بيجين هو المسئول عن فشل المحادثات. في النهاية رضخ بيجين ووقع ويتفق المعلقون وكتاب الصحافة الأمريكية علي أن محدثات "واي" ستنجح لسبب بسيط هو أن كلينتون وراءه من المشاكل مايكفيه، وهو لن يسمح بأن تفشل هذه المحادثات لأنه راهن علي نجاحها: إذا أضفنا إلي ذلك أن كلينتون ــ عكس كارتر ــ لم يجرؤ في يوم من الأيام علي ممارسة أدني ضغط علي إسرائيل وأنه يستحيل أن يبدأ الآن في ممارسة ضغوط والانتخابات الأمريكية علي الأبواب، يكون واضحا أن الضغط سيمارس في اتجاه واحد ضد عرفات الذي أظهر قدرا غير مسبوق من السذاجة عندما وافق علي عقد هذه الاجتماعات في هذا الوقت (قبل الانتخابات). ولكن هل يحتاج عرفات إلي ضغوط قوية لكي يسيء إلي شعبه وقضيته كعادته

قد يبـــدو للبعـــض أن افتتـــاح الســـلطة الفلسطينية لكازينو "الواحة" في أريحا لممارســـة ألعاب القمار هو إجراء إقتصادي بحت، فـــهذا هو الأساس الذي بني عليـــه عرفـــات فكـــرة الكازينو. والواقع أن هذا الملهي يمثـــل الحلقـــة الأخيرة في مسلسل إنهزامي مزري بدأ في أوسلو منذ خمس سنوات ولا أحد يدري مـــتي وأيـــن سينتهي. الكازينو هو تعبير آخر عن مستنقع بلا قاع قائم علي تعاون مخرب في المجـــالين الأمـــني والاقتصادي. كما أنه تجسيد للهوة الشاسعة بين الالتزام الإسرائيلي والتفريط الفلسطيني فيمـــا يتعلق بالثوابت القومية والدينية فـــالطريف ـــ وشر البلية مايضحك ـــ أنه لايوجد في إسـرائيل كازينو واحد مشابه لـــ "الواحـــة"والسـبب بسيط، وهو أن العقيدة اليهودية تحظر القمـــار. والحكومات التي تحترم دينها ولا تستفز شـــعوبها بارتكاب المحرمات هـــي الـــتي تحظـــي دوليـــا بالاحترام ويتجاوز عن ســـيئاتها. وإذا كـــانت السلطة قد افتتحت هـــذا الكـــازينو لجـــذب الإسرائيليين الذين يحبون هذه الألعاب ويعجزون عن ممارستها في كيانهم، فإن المدعي الإســـرائيلي إلياكيم روبنشتاين هدد باتخاذ إجراءات قانونيـــة ضد الإسرائيليين الذين يثبت عليـــهم ممارســـة القمار في الكازينو الفلسطيني. أيضا يجـــب أن نتساءل هل سيأتي اليوم الذي يتذرع فيه نتنياهو بعدم الانسحاب من القدس العربية علي أســـاس أن السلطة التي تطالب بالمقدسات هي نفســـها التي تفسد العقائد بالحض علي لعـــب القمـــار؟ وبماذا نجيب لو سألونا: كيف يا مسلمون تأمنون علي مقدساتكم سلطة تتنازل عن مباديء دينـــها الإسلامي وتستحل عوائد القمار؟ وأعتقـــد أن علينا من الآن إعـــداد الجـــواب خاصـــة وأن الزعماء العرب لا يملون من تكرار الزعم بـــأن "السلطة هي صاحبة القضية". المؤكد أن هـــذا الكازينو سيكون وبالا علي الفلسطينيين، تمامـــا كما كان تدشين التنسيق الأمني العام الماضي بين السلطة ومخابرات إسرائيل كارثة علي العـــرب وبركة علي إسرائيل، الفارق الأساسي بينـــهما هو أن خطيئة الكازينو تتلاشـــي إذا مـــاقورنت بجريمة "التعاون الأمني".

إثر اغتيال محيي الدين الشريف في إبريـــل الماضي قالت مصادر أمريكيـــة إنـــه "جـــرت اتصالات مع السلطة أوضحنا خلالها أنها مسئولة عن التأكد من أن حماس لن توجه ضربـــات وأن عليها أن تفعل كل مافي وسعها لتحقيق ذلـــك". بعد هذا الإنذار فورا قامت الســـلطة باعتقـــال عدد كبير من قيادات حماس العسكرية ومنـــهم عماد عوض الله الذى زعمـــت أنـــه اعـــترف باغتيال الشريف، وهو ما نفاه عماد في رســـالة

إلي حماس بعد هروبه الأخير من السجن وقبل اغتياله مع أخيه عادل. هذه الرسالة هي التي قال فيها إن مسئولا كبيرا في السلطة حاول مساومته لانتزاع هذا الاعتراف منه. وقد نقل تقرير النيويورك تايمز عن خالة عماد عوض الله قولها إنها زارته في السجن الفلسطيني قبل هروبه بأيام وكان واضحا علي وجهه أثار الضرب والتعذيب، وإنه كان علي حالة من الضعف تتناقض مع مايتطلبه الهرب من مجهود. أضف إلي ذلك الحراسة المشددة عليه. فكيف هرب عميلد من سجن جبريل رجوب مسئول الأمن الوقائى فى الضفة , الذى اجتمع العام الماضى مع مسئولى الـ C.I.A ومع السناتور بنجامين جيلمان (صاحب قانون الاضطهاد الديني الشهير) والذي تصفه صحيفة كريستيان ساينس مونيتور (8/6) بكلمة " بلطجى " للتعبير عن وحشيته فى التعامل مع المعتقلين ؟ ولماذا ترفض إسرائيل تسليم الشهيدين للأهل؟ هل هناك آثار علي الجثتين يمكن أن تدين أطرافا أخري؟

من ناحية أخري نفي نتنياهو ضلوع أي طرف آخر في اغتيال الشهيدين، وهو شيء طبيعي ومتوقع : فهو بهذا النفي يحمي أولا مصادر معلوماته الثمينة، ويضخم ثانيا من قدرات جيشه ومخابراته في مواجهة المقاومة بدون مساعدة من أحد، ويؤكد ثالثا أن عرفلت لا يفعل شيئا لمحاربة الإرهاب، وهو ما يبرر إصراره علي عدم الانسحاب من أي أراض أخري ، ويثبت رابعا لشعبه أنه صادق في الوفاء بما تعهد به: الأمن وسلام الردع مما يقوي من احتمالات إعادة انتخابه بعد عامين. وبالفعل فإن استطلاعا للرأي نشرته (هارتس) مؤخرا أظهر أن أكثر من ٩٠% من الإسرائيليين يرجعون استتباب الأوضاع الأمنية إلي فاعلية السياسة التي انتهجها نتنياهو. بمعني آخر فإن المستفيد الوحي من التعاون الأمني من جانب السلطة الفلسطينية ــ وهو التعاون المستمر مع استمرار عمليات التهويد والاستيطان ــ هما نتنياهو وشعبه.

في تعليقه علي إعلان إسحاق موردخاي سعادته بـ "الإنجاز الكبير" الذي حققه الجيش الإسرائيلي باغتيال الأخوين عادل وعماد عوض الله، يقول دافيد كيمحي مدير الموساد الأسبق : "إذا سألت أي مسئول في خدمة الأمن العام أو الجيش فسيقول لك إن التعاون مع سلطتي الأمن الوقائي الفلسطيني (قوات جبريل رجوب في الضفة ومحمد دحلان في غزة) هو أعظم مما يمكن أن يتخيله أحد. والدليل علي ذلك أن عدد قتلي الفلسطينيين العام الماضي فاق عدد

قتلي الإسرائيليين. والفضل في الانخفاض الشديد في حوادث الإرهاب يعود أساسا لكفاءة السلطة الفلسطينية العالية في مكافحة إرهاب حماس". ويتفق مع هذا الرأي لي هوكستادر مراسل الواشنطن بوست الذي يقول: "إن الحكومة الإسرائيلية تتهم السلطة بالامتناع عن محاربة الإرهاب بل وبتشجيعه علي الرغم من أن إسرائيل اليوم تتمتع بوضع أمني لم يسبق له مثيل طوال العقد الماضي:". أما عبد الوهاب بدرخان، كاتب الحياة فيقول: "منذ أصبح هناك قوات أمن وقائي فلسطينية لم يعد هناك مكان آمن لا لـ" أعداء السلام" ولا لأصحاب الرأى ولا لنواب المجلس التشريعي المنتخبون" الذين اعتدت عليهم قوات رجوب منذ أيام بالضرب بأعقاب البنادق. ويتسائل بدرخان: "لذلك يبدو السؤال بديهيا ومشروعا: من أرشد الإسرائيليين إلي الأخوين عوض الله؟.. يستطيع الطرفان أن يقولا الآن أن تنسيقهما الأمني في أحسن أحواله: أحدهما يقتل أولا (محيي الدين الشريف) خدمة للآخر، والآخر يقتل ثانية (الأخوين عوض الله) خدمة للأول".

أثناء سنوات الانتفاضة وقبل الظهور المشؤوم للأمن الوقائي الفلسطيني، كان من المستحيل علي الموساد اختراق التحصينات التي أقامها الشعب حول خلايا حماس لحمايتها من أوحال العملاء. ولكن منذ ظهور السلطة وأجهزة مخابراتها الثلاثة عشرة ، وشهداء المقاومة يتساقطون بدءا بيحيي عياش وانتهاءا ببني عوض الله. فقد أنشأت السلطة هذه الأجهزة لرصد المقاومة ووأد أنشطتها. ينقل جهاد الخازن، وهو كاتب (الحياة) المؤيد لأوسلو والمعارض علنا لحماس، علي لسان أعضاء حماس قولهم إنهم يترحمون علي أيام الاحتلال الإسرائيلي عندما كانوا يصطادون عملاء إسرائيل من الخونة ويتزلون بهم العقاب. " أما اليوم فإن هؤلاء العملاء هم الذين يتصيدون نشطاء المقاومة. "ولذلك كان لافتا للنظر ــ بعد اغتيال الأخوين عوض الله ــ أن حماس تجنبت توجيه اتهام بالتواطؤ لقيادات أمن السلطة، وهي تجنبت ذلك حتي لايتكرر ماجري في أعقاب مقتل الشريف عندما

اتهمت حماس السلطة بالمشاركة في اغتياله، فكانت النتيجة اعتقال عدد كبير من قيادات حماس السياسية. واستنادا إلي الخلفيات المعروفة عن قيادات السلطة وقدراتها علي إشعال الحروب الأهلية كما جري في الاردن عام ١٩٧٠ ولبنان عام ١٩٧٥، فإن حماس تسعي لتجنب كل ما يبرر للمتعاونين إشعال نار الحرب.إن "التعاون" يكون تعاونا عندما يتوفر المقابل، أي الأخذ والعطاء. أما أن يكون "التعاون" بلا مقابل (اللهم إلا أن يكون المقابل هو وعود أمريكية بخلافة وزعامة) فإنه يستوجب استخدام لفظ آخر أدق في التعبير عن دناءة الفعل. إن الوشاية بخلايا المقاومة واعتقال رموزها مستمر علي الرغم من استمرار تهويد القدس وبناء المستوطنات وهدم المنازل وسرقة الأراضي وقتل الفلسطينيين بلا تمييز سواء من جانب ميليشيات المستوطنين التي تشكلت بتصريح من الحكومة الإسرائيلية أو من جانب قوات الشرطة والجيش. هذا ما نأمل أن تلتفت إليه قيادات السلطة الحالية. وإن كانت هناك مبررات قوية تلجم حماس وتمنعها من توجيه إتهامات إلي أشخاص معروفين في أمن السلطة، فإني لا أجد مبررا واحدا يدفع الوطني في مصر إلي السكوت عما يحدث إلا إذا كانت خواطر الزعامات أهم بالمراعاة من مصلحة القضية. لقد كتب البعض يتعجبون من إصرار عرفات علي إعلان دولة فلسطينية في مايو القادم علي أساس أنه يفتقد أهم مقومات الدولة :الأرض والسيادة والعاصمة. ولكني أزعم أن هناك ما هو أهم من هذه المقومات الثلاث، وهو الشعب الذي يعيش بعضه في سجون "محررة" بينما يعيش الباقي في سجون أكبر، وهي الجيوب التي يسمونها أيضا "أراض محررة". فهل أصبح هذا الشعب وكرامته هما الثمن الذي لابد من التضحية به لإقامة دولة لاتملك حاليا أيا من مقومات البقاء ويحتاج رئيسها إلي تصريح من دولة أخري لكي يتنقل بين مدنها؟

د. صلاح عز

شهريات

الإسلام بخير

لاشك في أن المآسي تتوالي في بلاد مسلمة وفى أخري فيها بقايا مسلمين, والضربات العنيفة تتلاحق علي المسلمين في كل مكان، والمجازر العنيفة تدور بلا حساب سواء بهدف التطهير العرقى أو التصفية الشاملة لكل القيم الإسلامية. من كثرة أخبار هذه الأحداث، يكاد القنوط يصيب الكثير من المسلمين ، طوعا أو كرها، رغما عن وصايا القرآن الكريم، وتعاليم السنة الشريفة للمسلمين بعدم اليأس، ورغم دراية المسلم بأن القنوط إنما هو من عمل الشيطان.

هل هناك من نبأ طيب، أو خبر سعيد تهلل له نفس المسلم حيثما كان، نزفه إليه، لكي لا يصيبه الإحباط !؟ سيقول الكثير إن لا لشيْ أبدا يسر. فهل تفاقمت الأمور بصورة تكاد تطمث النور الذي يلوح في الأفق؟في الواقع، ودون الهروب من الواقع المرير، إن هناك الكثير مما يسر، لو أن المسلم أحصي نعم الله عليه. المسلمون أقوياء لأن أعداءهم يتربصون بهم في كل مرفق. لو أنهم ضعفوا وهانوا ما أرق لوجودهم جفن عدو لدود، قوي أو ضعيف. فقوة المسلم هي في قوة عقيدته التي تزيد من صلابته علي تلقي المحن والصمود أمام النوائب. والضعف الحقيقي لا يعتري المسلم إن حصن نفسه ضد انهزام النفس. فالهزيمة الحقيقية هي انهزام النفس، والاستسلام المطلق للطوفان الذي يحرص علي اقتلاعه من جذوره ثم ابتلاعه.

نعم رباني

لو نظرنا لأحوال المسلمين، بمنظار اليوم والساعة والدقيقة، لكدنا أن نفقد الرجاء، معاذ الله. ولو تتبعنا الأحداث دقيقة بدقيقة

لخاب الأمل. لكن الدنيا ليست مجموعة دقائق وساعات وأيام. فاليوم عند الله بألف مما نعد. وتاريخ الأمم لا يقاس بسنوات.

ففي قرن واحد مايزال يعيش بيننا من يذكره اندثرت أمم وأينعت أخري، أظلم الكون بطغاة مردة وأذن المؤذنون للصلاة، تجبر من تجبر وقبر من أنكر وتكبر، علت أصوات وخفتت مئات الحناجر وأذن المؤذنون للصلاة، تآمر متآمرون واندثروا بكيدهم، ارتفعت أسهم وانخفضت. الباغي أفناه من هو أشد منه بغيا ولم تختف كلمة الله أكبر.

ولو أحصي المسلمون نعم الله عليهم لوجدوا أن نعم الله غامرة. فما زال في بعض المسلمين الرمق ليقولوا "لا" لمن يحاول إطفاء النور. ما فتئت هناك أعين خاشعة تبكي لآلام المسلمين. وما لبثت خشية الله عميقة في قلوب فتية.

من نعم الله علي المسلمين، أن جعل تحت أقدامهم ثروات غزيرة. تكاد لا تنفد، مهما حل بهم من فقر. هذه الثروات تحبسها الأرض لهم وتختزنها، فهي ليست أموالا، عرضة للتلاعب والاختلاس. ومهما تكالبت عليهم الأمم فهبة الله باقية لهم ولمن خلفهم. وما كان للأمم أن تتناهشهم من كل صوب, لو لم يكن تحت أرجلهم من الخيرات ما يتجدد. وليس للإنسان أن يجزع علي حاله، إذا ما كف الناس عنه بأسهم، ولم يتربصوا له بالكيد. فهناك مثل لا أدري أصله، أن "العاصفة التي تهب علي أرض جرداء لا تضر ولا تنفع". ومثل آخر صائب: "أي شيء يمكن للتعس أن يجنيه من خائب الرجاء ؟"

ومن نعم الله علي المسلم أن جعل الله الأرض بأسرها مصلي طهورا. فالمؤمن لن يحاط به الأمر، أو يهن إيمانه، حتي لو هدمت كل المساجد التي شيدها الناس علي الأرض. لقد غزا الصليبيون بيت المقدس وساعدهم المنتفعون والتف حولهم فريق من الضعفاء، لكنهم لم يطفئوا نور الله في قلوب وجلة. وغار القرامطة علي البيت الحرام ولكن الله رد إليهم كيدهم. وغار التتار الكفار علي الأمة الإسلامية بالخراب والتدبير لينهبوا خيراتها، لكنهم تحولوا إلي الإسلام ومايزال أحفادهم في منغوليا يحملون لواء الإسلام.

لقد أنزل الله القرآن علي أمـــة محمـــد وتكفل بحفظه حتي لو لم يبق علي الأرض من ذاكر لاسمه. وحاول الأفاكون في كل زمـان ومكان تحريف القرآن فباءوا بالفشل.

الفرد المسلم المتمسك بعقيدته في مجتمع لا يدين بالإسلام ليس بأقل شأنا من مســلم يحيط به آلاف المسلمين. فالمسلم لا يكتمـل إيمانه بوجود كاهن أو راهب. ولن يشـــفع للمسلم "عالم ورع" يحثه علي الخير، ولـــن يكون له ردءا من النار "دكتـــور جـــاهل" يوجهه لفعل ما ينافي الإسلام.

ومن فضل الله علي المسلم، أن العقيـدة لاتعرف لها حدودا جغرافية أو سياســية أو عرقية. فالمسلم العربي، والمســلم الهنـدي، والمسلم التركي، والمسلم الألباني، والمســلم الأمريكـــي، والمســلم الإندونيســـي، إلخ، تجمعهم عقيدة واحدة، ويتوجهون إلي قبلـــة واحدة، وإن تباعدت بينهم الديار.

ومن نعم الله علي المسلم أنه مكلـــف بالعمل لنصرة الإسلام وليس مسئولا عـــن تحقيق النتائج. فالله وحده الكفيل بعواقـــب الأمور. والله وحده القادر علي نصرة دينـــه وإن تقاعس كل المسلمون أو نفروا علـــي قلب رجل واحد. فإذا أدار كل مســـلمى الدنيا ظهورهم لكلمة الله، فسيهيؤ الله أمـــة أخري تعلي كلمته، وما عهد التتار والمغـول ببعيد. فالله ليس بحاجة إلي من ينصر دينـــه. إنما المسلمون هم الذين في حاجة إلي نصرتـه وعونه.

(قربعة) المياه

ماأزال أذكـــر موضوعـــا عـــن آداب الطعام، طالعته في كتاب الأشياء والصحـــة، الذي كان مقررا علي وأنا طفل صغـــير في المدرسة الابتدائية. الموضوع مايزال عالقا في مخيلتي رغم ما مضي من زمن طويل عليه.

يروي المؤلف المصري "أن مصريا ركب مركبا مسافرا إلي الخارج لأول مرة. وعندما حان وقت الغداء اجتمع الركـــاب حـــول المائدة. وخلال تناول وجبة الطعام تملـــك المصري العطش فطلب كوبا من الماء. وهنـا إشارة خفيفة إلي أن تصرفه هذا اســـتلفت النظر لكونه "الوحيد الذي يشرب الماء بـدلا من النبيذ كسائر المخلوقات علي البـــاخرة. لكن "الأدهي من هذا والأضـــل ســـبيلا"، حسب تقدير الكاتب، أنه أخذ يرتشف الماء

رشفا بدلا من أن يعبه عبا هـــذا ممـــا أدى لاشمئزاز من حوله من الأجانب، حتي إنهـــم توقفوا عن تناول الطعـــام وصوبـــوا إليـــه نظرات تقزز واستهجان. غير أن المصـــري تمادي في فعلته المشينة لا يعبأ بمن يشـلطرونه الوجبة.

عقب الكاتب على العار الذي جلبـــه المصري لبلاده بفعلته المزرية، وخروجه عـــن الآداب العامة اللائقة بالبلاد المتحضـــرة أو "الإتيكيت"

يومها هرعت لمدرسي ولأبي مستفســوا، بقنطار من التساؤلات، وقد غـــاب عـــنى مغزي الأحدوثة والـــدرس الـــذي يمكـــن الاعتبار به منها.

ظننت أنه إما أن يكون هناك لغـــز في الحادثة لم أدركه, أو أن صـــاحب الروايـــة رجل مخبول في عقله. ما هي قلـــة الأدب في أن يشرب المصري الماء ؟! وما هو المقصـــود بارتشاف الماء ؟ لمـــاذا تكـــون "قربعتـــها" أصوب تعبيرا من "ارتشافها" في جماعـــة أو غير جماعة ؟! ما هو العار الذي يجلبه فـــرد مصري واحد علي أمة بأكملها، مهما فعـــل في وسط من الأجانب أو العفاريت (الزرق)

لماذا لم يتحرج الأجانب عن شرب الخمـــر مراعاة لمشاعر المصري، الذي رفض تنـــاول النبيذ لأنه حرام ؟ أليس في هذا عدم لياقة!

ظننت لفترة طويلة أن شرب الماء مضـــو بالصحة، إذ أن طبيبا متفلسفا عاد لتوه مـــن فرنسا، أفتي بأن المياه تـــؤدي إلي البدانـــة وتضخم الكرش.

لم أعقل هذا لأن الماء ليس فيـــه مـــواد دهنية وليس فيها سعر حراري واحد. لكـــن ما قرأته في كتاب الأشياء والصحة خـــدش منطقي الصغير فكدت أصدق ما سمعت .

علق هذا الظن بفكري حتي وجـدت أن الرياضيين يعبون الماء عبا لتلافي التخمـــة. فالماء يخلص البدن من الأمـــلاح المختزنـــة. ومؤخرا قرأ أو رأي الناس كميـــات الميـــاه المهولة التي كان يشربها الجنود الأمريكيـــون في صحراء الخليج لتفادي الوهـــن أثنـــاء الحرب. فكل جندي كان يستهلك ما يقـلبل ستة عشرة لترا في اليوم.

وحدثني صديق فرنسي مـــن مقاطعـــة "برجاندي"، عن سبب شيوع تعاطي النبيـــذ في فرنسا. فقد دهم وباء التيفود المقاطعـــة، وهو طفل صغير، وتلوثت كل المياه بالوبـــاء

فاضطر الناس إلي شرب النبيذ. ومن يومها تعود الناس علي هذا. وماتزال المقاطعة هي أكبر منتج للنبيذ الذي سمي علي اسمها.

ممنوع علي أهل البلد

رغم ميلي لتصديق أن مؤلف آداب الطعام قد ترجم الموضوع عن غير فهم، أو أنه متفرنج تحت قبعته ملقن، إلا أن الموضوع شغلني وقتا طويلا، حتي نضجت نوعا ما، فرأيت بعيني لافتة علي فندق سيسيل بمحطة الرمل بالإسكندرية : "ممنوع دخول المصريين والكلاب". عندها عجبت كيف يحرم دخول مكان في بلد، علي أصل البلد !؟ وأجابني من لم أسع إليه بسؤال: "اللافتة ليست موجهة ضد المصريين ولكنها علقت لحماية المصريين، فالأجانب يفعلون أفعالا قد تخدش حياء بعض المصريين. "كلان هذا في كتابي "عذر أقبح من ذنب" إذ عجبت: "لماذا يسمح لأجنبي أن يفعل في مصر ما يخدش حياء أهلها!؟ لكني لم أكن أدري الحقيقة آنذاك.

بعدها زعق زاعقون ذو حلوق مليئة بالشعارات ومتوهجة بالحماس، أن المصريين أصبحوا سادة في بلادهم، فرفعت لافتة الفندق لتقتصر علي منع "الكلاب"، التي هي من أصل مصري.

دارت الأيام وزرت بلادا كثيرة . وجدت لافتات كبيرة مثل لافتات سيسل في بلاد عربية وإسلامية تمنع مواطنيها من دخول كثير من الأماكن التي خصصت للأجانب. لكنني لم أجد لافتة واحدة مثلها في أي بلد أوروبي أو أمريكي. علي العكس وجدت لافتات تمنع الأجانب من دخول الكثير من الأماكن بلا سبب واضح، حتي في الأماكن السياحية التي ليس لها من مصدر رزق سوي ما ينفقه السائحون الأجانب.

هذا بالطبع إذا استثنينا ما كان شائعا في أمريكا من منع دخول السود بعض الأماكن. غير أن لهذا دافعا آخر، فالعبيد السود أقل شأنا من سائر البشر، ومايزال البعض يعدهم في عداد الأجانب.

وربما استثنينا بعض حانات فرانكفورت المخصصة للجنود الأمريكيين المحتلين حيث يمنع من دخولها الألمان خوفا من مصادمات سياسية.

الخوف من الفضائح

بعد مرور أمد ليس بالقصير علي خفوت (الزعقات) الصاخبة عن سيادة المصري في وطنه، كنت في زيارة إلي مصر، ونزلت في فندق الماريديان بالقاهرة. ذهبت للمطعم مبكرا لتناول طعام الإفطار. كان المطعم خاليا من الرواد، غاصا بعشرات من المضيفات. فالعمل في هذه الأماكن مقصور علي صاحبات الألسن، وأصحاب الواسطة، والعالمات بالإتيكيت، والأجر مجز. تمهلت قليلا عسي أن تلقاني مضيفة تصطحبني إلي إحدي الموائد المتراصة كما تجري العادة. إلا أن المضيفة التي لاحظت ولوجي إلي المطعم كانت مشغولة بهندمة أظافرها أو مخالبها ، إذا صدق التعبير. أما الأخريات فقد اشتغلن بتصفيف الشعر والتملي فيما قد تنبؤهم به مرايا المطعم من انطباعات . لم أرد أن أقلق أحدا عن الانشغال بنفسه فاخترت مائدة نائية عن المدخل وجلست آملا أن لا يطول بي المقام.

بدأ لي أن ما فعلت أثار حالة طوارئ ، إذ ما كدت أجلس حتي هرعت إلي مضيفة فزعة وبدا ذلك علي وجهها .

ظننت أنها جاءت لتعتذر لي عن إهمالها وتجاهلها لعملها. لكن المضيفة صرخت في هلع: "غير مسموح للمصريين الأكل في هذه المنطقة".

وبعد مهاترات جاء الرأس الأكبر معتذرا بإنجليزية عرجاء : "آسف يا دكتور" إن المضيفة تنفذ التعليمات ولم تقصد سوءا. ثم همس في أذني: "نحن المصريين نأكل بطريقة مقززة، يتأذي منها الأجانب. لهذا نعزل المصريين بعيدا عنهم، درءا للفضائح".

تبسمت ساعتها أو ضحكت، وأنا أتخيل ما قد يحدث لو أن مطعما "خمس نجوم" في أمريكا خصص مكانا للبريطانيين المتنطعين، والفرنسيين المتحذلقين، وعزل عنهم السواد المواطنين من رعاة البقر ولاعبي الكرة والفلاحين !؟ فغالبية أولاء لا يراعون آداب الأكل بل يتجشؤن بصوت عال (يتكرعون) و(يطلقون ويبرطعون) ويتقاذفون الطعام وهم يأكلون. هذا إلي جانب إسرافهم في اجتراع الجعة مما يزيد من صخبهم وإيذائهم

للآخرين. لو كان لصاحب المطعم من خيار، لألقي بالرواد الأجانب المتحذلقين إلي الشارع فهو لن يضحي بزبائنه من أهل البلد.

فلاح وفقير

عندما كانت بريطانيا إمراطورية لا تغيب عنها الشمس دخلت كلمتان عربيتان قاموس أكسفورد للغة الإنجليزية، بين كلمات عديدة: كلمة "فلاح" التي أطلقت علي المصريين عن بكرة أبيهم، وكلمة "فقير" التي شاعت لتصف سكان بلاد الهند. والعجيب أن هذه الكلمات ترجمت من الإنجليزية إلي اللغة العربية من جديد، فأصبحت ألقابا مهينة تدل علي ضآلة حاملها وقلة مقداره. غير أن كلمة "فقير" الإنجليزية ترجمت إلي "هندي" باللغة العربية. فأصبحت كلمة هندي بالعربية كلمة سباب لاذع في الشارع المصري.

أما المصري فيباعد بين نفسه وبين كلمة "فلاح" التي أطلقت علي المصريين عن بكرة أبيهم، وكلمة "فقير" التي شاعت لتصف سكان بلاد الهند .

أما المصري فيباعد بين نفسه وبين كلمة فلاح . إن الكلمات الإنجليزية الأصلية التي تصف القائم بالزراعة والبسيط الحال كانت صفات لا تقلل قدر المواطن البريطاني أو الأمريكي. فالرئيس كارتر يفخر بأنه فلاح ابن فلاح وإبراهام لنكولن فخور بأنه كان فقيرا معدما.

وأبتسم كلما تذكرت صياح فتاة قروية: "يا أمه لا تفضحيننا. أتريدين أن يقول الخلق عنا إننا فلاحين ؟" وهكذا طغت الكلمات المترجمة علي أصول الكلمات.

لقب القذارة

حدت روح التعصب الديني والعرقي بالمجتمع الأوروبي منذ القرون الوسطي حتي بداية القرن العشرين إلي تسمية من ليس علي دينهم "باليهودي القذر". وماتزال الكتب القديمة في الأدب والشعر، وعلم الاقتصاد والاجتماع تغص بهذا الوصف كلما ذكر اليهود. هذا رغم أن اليهود المتدينين كانوا حريصين علي نظافة أبدانهم وطعامهم عن غالبية الأوروبيين. أما الآن فالكلمة لا تستعمل إلا همسا في دوائر صغيرة.

وحسبي أن هذا الوصف في طريقه للانقراض لأن اليهود لم يتبنوا هذه الكنية لأنفسهم.

بالتالي تحولت الكلمة لتصف المسلم علي أنه قذر. ففي إنجلترا والبوسنة والصرب وألمانيا وفرنسا لايأت ذكر المسلمين دون الإشارة إليهم بالقذرين. وقد بلغت الكلمة من الشيوع حتي أن نشرات الأخبار في بلاد فيها مسلمون تردد الكلمات علي ألسنة المتعصبين والمتحاملين علي الإسلام. إذ تذيع محطات تليفزيون في دول إسلامية أن الصرب لا يطيقون المسلمين البوسنيين نظرا لقذارتهم، والألمان يريدون طرد الأتراك لأنهم قذرين، والفرنسيون يريدون طرد المغاربة لعاداتهم القذرة. وقام إعلاميون بأسماء إسلامية لحض كل فريق منهم علي التخلص من عاداتهم القذرة حتي يرضي عنهم الأوربيون. فيا تري من يرضي عن قوم لا يرضون بأنفسهم !؟

عندما استفحل لقب القذر

كنت في جلسة مع بعض المعارف، عندما جاء خبر اغتيال "رابين" علي التليفزيون، فعلق أمريكي علي الهرج والمرج: "أنا لم أكن أتصور آن إسرائيل بهذه القذارة. "فرد مصري كان يزور أمريكا لأول مرة، مدافعا بحرقة: "إن الإسرائيليين هم أنظف شعوب العالم". ثم أطنب في استهزاء : "ماذا ستقول إذا لو رأيت المصريين ؟ إن القذارة في مصر لا تطاق".

فسأل الأمريكي في فضولية: "هل الناس لا يعتنون بالنظافة البدنية؟ أم أن مصر بطبيعتها بلد قذرة ؟".

رد المصري بحماس: "كله قذر". الناس بينهم وبين المياه عداوة. لا يستحمون، بل لا يشطفون وجوههم، ولا يغسلون ثيابهم".

فسأل الأمريكي:"ألا يتوضئون للصلاة؟"هنا استجاب المصري بسوعة: "لا أحد يعرف لهم حالا. كلهم يصلون" فسأل الأمريكي في فضول: "هل تصلي ؟" هنا أجاب المصري : "لا طبعا . المتدروشون هم الذين أدوا بنا لما نحن فيه من تأخر وقذارة لا تليق ببني آدم. " ثم حول الموضوع، ناقدا: "فلاحون بهائم، عيونهم (معمصة)، القمل يترع في شعرهم، الذباب يرف علي وجوههم.

الناموس يمص دمـــاءهم. ينـــامون في العسل نوم، نـــاعمين بالصراصـــير والبـــق والبراغيث".

وتطرق الحديث إلي موضوعات عديدة:

أنواع الصراصر

الصرصور الأمريكي الضخـــم الـــذي يعشق الحرارة والرطوبة، صرصور لويزيانـــا الطيار الذي لا يهاب أحـــد، والصرصـــور الألماني الذي يختبيء في أدراج المطبخ/ وعرج الحديث إلي انتشار الفئران في أوروبا مـــن قرن مضي، حاملة معها الطـــاعون، الـــذي فتك بالملايين. وظـــهور ســـلالة جديـــدة متوحشة في باريس تعجز الإدارة الصحيـــة عن مكافحتها. وهجوم الفئران علي المنـــازل في بنسلفانيا من حقبة قصيرة.

وقص الأمريكي ما حـــدث لابنتـــه في المدرسة، إذ أن المشرفة أرسلتها إلي البيـــت ولم تسمح لها بدخول المدرسة عدة مـــرات لأنها وجدت في رأســـها قمـــلا صغـــيرا واشتكي الأمريكي عما عاناه هو وأسرته. إذ كان عليهم دهان رأس البنت بالكيروســـين وغسل كل الفراش بالمطهرات.

ورغم هذا يعود القمل وكأن لاشـــيء يجدي معه. ثم علق: "لا أدري من أين يـــأتي هذا القمل كله رغم النظافـــة المســـتمرة" وأضاف في شبه مهادنة مع نفسه: "علي كل مشكلة القمل في أمريكا بســـيطة بالنســـبة لدول أخري، كسويسرا مثلا فانتشار القمل بين أطفال المدارس قد أصبح كارثة".

بعد سهرة امتدت طويـــلا، اســـتأذن الضيف المصري لينام استعدادا لرحلة طويلة عائدا إلي بلده. هنا تبسم الأمريكي مـــرددا تحية النوم الشهيرة لدي الأمريكيين: "ليلـــة طيبة". نم هانئا، ولا تدع (البق يقرصك)".

السعي للنظافة

ماذا حدث عندما نجحـــت الدعايـــات المغرضة وأقنع الأوروبيون المسلمين بـــأنهم قذرين؟ انقض المسلمون بعضهم علي بعـــض في كل أنحاء البسيطة سواء كانوا متعلمين أو أشباه ذلك بالهجوم. مطالبين بالتخلص مـــن العادات التي يتقزز منها الأوروبيون. بـــل إن "الرؤوس المتكلمة" أينعت ورددت: "إننا لو لم نكن قذرين، ما قالوا عنا هـــذا. وصفـــة "الرؤوس المتكلمة" تعبير أمريكي يطلق علي

العقول الفارغة التي تجيد الكـــلام في كـــل مناسبة دون أن تقول شيئا مفيدا. وتتفتـــق قرائح رؤوس أخري عن نظريات فتنســـب سبب هذه التسمية إلي تقصير إعلامي.

والآخرون يشعرون بالعار من أن بعـض المسلمين الذين يذهبون إلي أوروبا قذريـــن، ويودون أن يمنعوهم من مقابلة الأوروبيـــين حتي لا يسيئوا إلي الإسلام.

بحسبي أن إنسانا يعتقد أن أهله قذريـــن لأن سادته قالوا هذا لا أمل له في نظافـــة. لاسيما أن العاتبين علي قذارة أهلهم عمـــوا وصموا عن أن الأتراك المسلمين هم الذيـــن أدخلوا فكرة الاستحمام في أوروبا. ومايزال مكان الاستحمام يسمي بالحمام الـــتركي، حتي في ألمانيا.

زمرة الأمم المتحدة

ذكرني حديث لبيـــل ريتشاردســـون، الممثل الأمريكي في الأمم المتحدة، بالحـــاج شباز أو مالكولم إكس، إذ كـــانت خطبـــة "ريتشاردسون" موجهة لأفغانستان، ينصحها بما يجب أن تفعله لتلحـــق بركـــب الأمـــم المتحضرة. يروي إكس أنه حاول في شـــبابه أن يغير في نفسه وشكله كل ما زعم الرجـل الأبيض أنه سببا في اضطهاد السود. فـــأدي كل حيلة ممكنة لكي يحول شعره "الأكـوت" إلي شعر ناعم، وكان يستحم عدة مـرات في اليوم، بل إنه عمل المستحيل ليتخلص مـــن لونه الأسود، ولبس من الحلل أفخمها. كـل هذا لم يغير من صورته عند الرجل الأبيـــض الذي استمر يناديه بالولد النيجرو القـــذر. فلما اعتنق الإسلام رضـــي عـــن شـــكله ومظهره . اقتنع بأنه نظيف، وأنـــه آدمـــي متحضر . عند هذا فقط لم يعـــد الرجـــل الأبيض يناديه بالولد النيجرو القذر، بـــدلا من هذا شن البيض عليه الحـــرب حـــتي تم اغتياله. إذ تحقق من أن الحضارة ليست ناديا يقبل ويرفض العضوية وإنما هي إحســـاس وسلوك متأصل لا يقتني بالتقليد.

كسب الحرب بالتحطيم النفسي

من فـــترة قصـــيرة قـــدم التليفزيـــون الأمريكي برامجا شيقا عنوانه "هوليوديـــزم" عن دور اليهود في هوليود ، وبـــالأخص في الحرب العالمية الثانية. لم يكن المناخ في ذلـك الوقت صالحا لعرض قضايا اليهود بصراحـة

في السينما. فصبوا الجهد في الأفلام علـــي خلق صورة للألمان واليابانيين ماتزال منطبعة فى أذهان الناس حتى اليوم .. الألمانى شـــرس مغتر، عديم الإحساس، كالثور الهائج الـــذي لا يكبح جماحهً غير الذكاء الأمريكي. أمـــا الياباني فغبي شرير، انتحاري، لا يضـــيره أن يضحي بأهله حتي لو لم يكن لديه ذرة مـــن أمل في أن ينجح في مـــراده. أمـــا صـــورة الأمريكي والبريطاني فتعرض نفسا متواضعة، مرحة، ذكية، تلجأ إلي الحيلة قبل القـــوة، فيها إيثار، تضحي بالغالي والثمـــين لإنقـــاذ طفلة، أو لجمع شمل حبيبين فرقت الحـــرب بينهما. وأهم خصلة في الشخصية الأمريكية أن الرجل المتحضر لا يضـــيره التضحيـــة بمصلحته الشخصية في سبيل إطعام جـائع أو إنصاف مظلوم.

هذه الصورة الدعائية الباهرة مـــاتزال تؤثر في نفوس المسلمين ومسلموا الأكـــراد يلجأون إلي أمريكا المخلصـــة، ومســـلموا البوسنة يستغيثون بأمريكا.

وأذكر في هذا المقام مصريـــا صـــاحب حنكة كان يقول معلقا علي حرب فيتنـــام: "إن الشعب الأمريكي أبله، يضيع مصالحـــه ليحارب الشيوعية ويناصر الديمقراطيـــة". ومعلق عربي متفلسف يقول: "أنا لا أفـــهم لماذا تناصر أمريكا الصهاينة، علي حســـاب مصلحتها؟ هذا مع أن كل مصالح أمريكـــا ترتبط بالعرب."لا أحد يدري من الأبله .

نعـــــات

لعل مما برع فيه العاملون علي حـــرب الإسلام هو إنتاج النعات المتلاحقة ليصفـوا بها المسلمين فلا يكاد أن يختفي نعت حـــتي يلحقه نعت أشد نكاية. فالكثير منـــا سمـــع ألقابا مستحدثة: رجعي، انتهازي، بـــدوي، همجي، فلاح، قذر، غير متحضر، متطـوف، متزمت، إرهابي، عميل، إلخ، كـــل هـــذه الكلمـــات فقـــدت معناهـــا الأصلـــي في القاموس.

وأصبحت نعاتا تستخدم حسب أهـــواء الذين قاموا بصكها لهـــدف في أنفســـهم. والأغرب من توالي إصدار هذه النعات هـــو أن المستهدفين بها يكونون أول من يترجمـــها ويستخدمها لوصف أنفسهم سواء عن وعي أو عن غير قصد. ثم يمتعضون ويلوم بعضهم البعض علي ما يظنه بهم الآخرون.

أحسب أن الكثيرين قد يتفقونَ معي في أنه ما من حديث يدور، أو ندوة تقام، أو مقابلة علي التليفزيون أو المذياع لمناقشة الأحوال الاجتماعية، إلا وسمعنا: "مشكلتنا نحن المسلمين"، المجتمع الذي نعيش فيه"، "لم يؤخرنا إلا.."، إذ أردنا أن نتحضر، "أين نحن من الأمم المتقدمة . "، الخ هذه العبارات الدارجة تصدر عن أفواه مدعية للمعرفة، ويصحبها الكثير من النعات التي صكها لهم أعداؤهم، وهجوم صارخ علي ما ألفه الناس من قدم، واستهجان لعادات وطباع قد يكون منها الطيب والرديء.

وكل هذه التعبيرات ماهي إلا تعبير عن عقد نقص في المتكلمين المتحذلقين يعبرون بها عن شعورهم بالعار من أصلهم و(فصلهم) . إذ أننا لو أنصتنا للآخرين يتكلمون عن مشاكلهم الاجتماعية لسمعنا: "يجب أن نحافظ علي إرثنا وما خلفه لنا الأجداد".

"إننا يجب ألا نغير أسلوبنا في المعيشة". " إن عظمتنا في التمسك بتراثنا"، الخ.

وفي هذا المضمار أذكر حادثا تاريخيا أيام حرب الاستقلال في أمريكا إذ وصفت بريطانيا الثائرين بالخونة، فرد "بن فرانكلين" عليهم : "إذا انتصرنا فسنكون من عظماء أمريكا وإذا هزمنا فسنكون خونة في بريطانيا وأبطال في أمريكا".

كذلك أذكر بواب كلية الهندسة في لندن، وكان رجلا قليل الحيلة بسيط الحال. كان كلما جاءت سيرة أمريكا يقول عنها في الشمئزاز إنها بلد متأخرة من البلاد التي كانت تملكها بريطانيا العظمي. ربما كان في سلوك البواب عنجهية فارغة, لكنه كان معتزا بجنسه رغم فقره وما يعانيه من امتهان ممن هم أرفع منه مكانا، من قومه.

كما لا أنسي صديق مصري كان يدرس معي في الجامعة. كنا نتناول طعام الغداء في مطعم الجامعة عندما انضم إلينا زميل أمريكي وسأل في استطلاع: "هل ماتزالون تستخدمون الجمال في التنقل في مصر؟" فرد صديقي دون تردد متضاحكا: "طبعا. إنها ركوبة مريحة. وكل فرد من عائلتي عنده ناقة بسنامين. "ومع حرص الأمريكي علي الاستطلاع، أفاض الصديق يحدثه عن مرابط الجمال في الشوارع و"جراجات" الجمال المنتشرة في المدينة". وعندما أدرك الأمريكي

أن صديقي يمازحه عقب بأنه يتوق أن يـزور بلدا مثل ذلك مليء بالجمال.

الأمريكي محق، فليس هناك من دافع لـه أن يسـافر إلي آخـر الدنيـا ليـأكل في "ماكدونالدز" و"بيتزاهت"، إنما الأحري بـه أن يغرم ويتعب ليري بلدا جديدا فيه منـاظر غير أليفة. والمصري محق، فلو أنه دافع بحرقة فلن يغير من الأمر شيئا. وذكرني الصديق أن المصريين دافعوا في حرقة أن مصر ليس فيـها تماسيح فهي دولة متحضرة، ونسي المدافعون أن الأمريكيين يتدافعون إلي زيارة مستنقعات فلوريدا ولويزيانا ليتمتعوا (بالفرجة) علـي التماسيح ، وأن استراليا تباهي بكثرتهم.

من المنتصر

إن حرب "النعات" صورة من الحـرب النفسية التي تشنها هوليود علي المسـلمين، وهي جزء من الغارات والهجمـات الـتي يشنها أعداء الإسـلام علـي المسـلمين. ووصف المسلمين بـالقذارة أو الحقـارة أو الهمجية ليس ناجما عن تقصير المسلمين عـن إبراز محاسن دينهم ولا هو نتيجـة صـورة مشوهة عن الإسلام من الممكن إصلاحـها، إنها هي حرب نفسية مدبرة لن تنتهي.

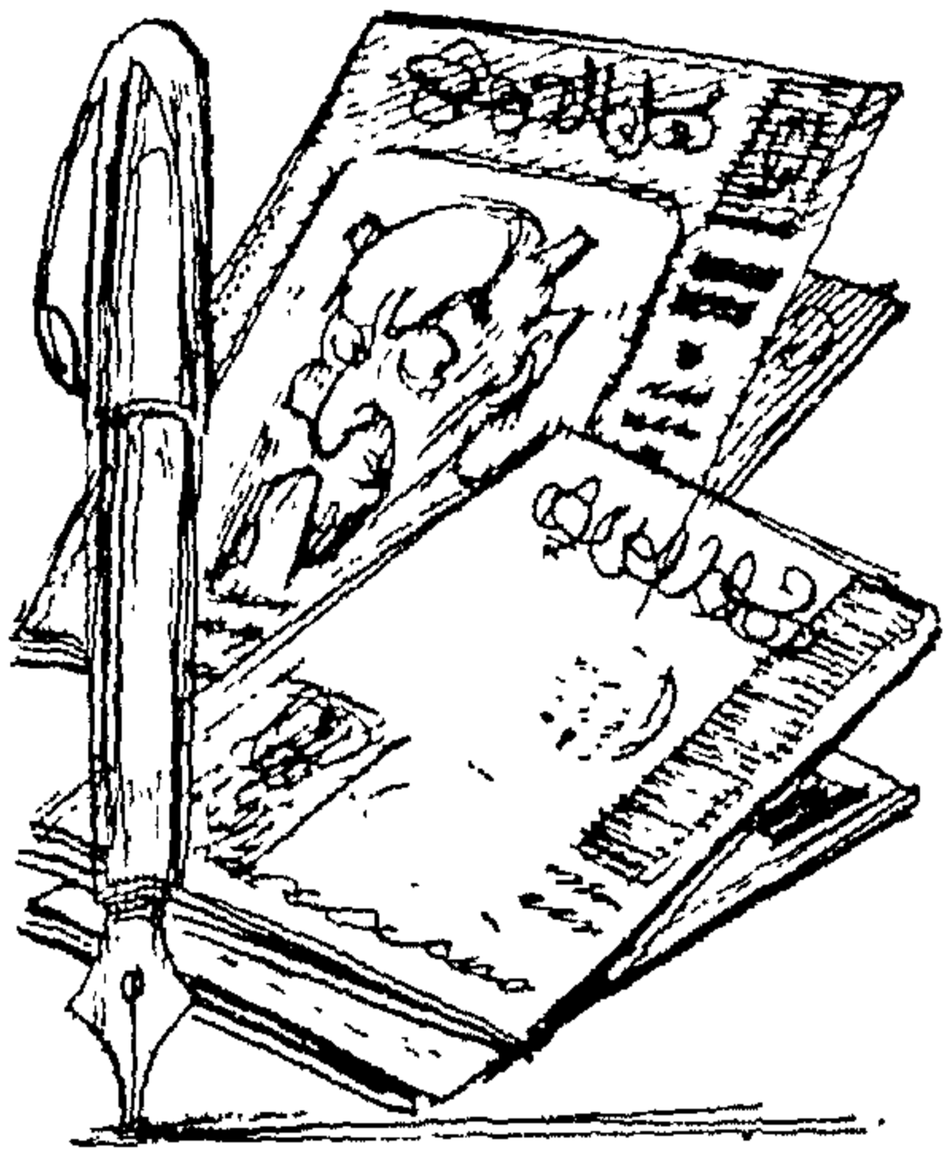

إذا أيقن المسلمون بهذا، وكفـوا عـن تصديق كل ما يشيعه المغرضـون عنـهم، والاستجابة له، سواء بالدفاع عن أنفسـهم أو بلوم أنفسهم فسيضيعون الفرصة علـي من يترصد بهم. فإن من أصـول الـتراث الغربي أن : "الخاسر في أي معركة لفظيـة كانت أو حربية هو من يقف موقف المدافع. الفائز دائما هو المهاجم الواثق من النصـر. والحق دائما ينحاز إلي جانب المنتصر".

د. عبد الفتاح الحسيني

مراجعات في مشهد الفتنة

مشهد الفتنة الذي عاشته مصر خلال الأسابيع الأخيرة لايزال يحتاج إلي تحرير يخاطب الإدراك والوعي، وليس المشاعر والعواطف وحدها. ذلك أنني أزعم بأن قارئ الصحف اليومية يخرج بانطباعات غائمة حول الذي جري في قرية "الكشح" حيث يلحظ أن الجهود المبذولة لتجاوز ما جري وإزالة آثاره، أكبر من تلك التي بذلت لفهم الحدث والوقوف علي ملابساته. يطمئننا الخطاب الإعلامي إلي أن كل شيء "تمام" وأن الوحدة الوطنية بخير، وأن المسلمين والأقباط في سوهاج كما السمن علي العسل، لكنه لا يقول لنا بالضبط ما هي الحكاية !

بقلم فهمي هويدي

علي الأقل فقد كانت هذه تجربتي. إذ غبت عن مصر في الأسبوع الذي طفت خلاله القضية علي سطح الأحداث، ونشرت فيه صحيفة "التلجراف" البريطانية تقريرها البائس حول الموضوع. وحين حاولت أن أتتبع الأمر في صحفنا اليومية كان انطباعي العام أنها حرصت علي أن يرد علي الأكاذيب التي روجت في الخارج،

بأكثر من تعريف الناس في الداخل بالوقائع والتفاصيل.

أكثر ما لفت نظري فيما طالعت بعد العودة، رسالة أبرزها بريد "الأهرام" في عدد السبت ٣١ أكتوبر، كتبها أحد

الأطباء الذين تتداول الصحف أسماءهم، ولخص فيها انطباعاته عن الحدث الذي وقع في ١٤ أغسطس الماضي، وكان انطباعه الأول أنه "قتل اثنان من الأقباط والفاعل مجهول" ضربت كفا بكف وقلت، بعد ٧٥ يوما من وقوع جريمة حساسة بهذا الشكل يقول قارئ قاهري مثقف إن الفاعل مجهول ؟ سألت من صادفتهم آنذاك فسمعت أقوالا متضاربة، لم تذهب بعيدا عما قاله الطبيب في رسالته، قلبت صحف الأيام التالية فوجدت أنها تجمع علي أن الحادث ليس طائفيا، وأن جريمة القتل عادية ولا علاقة لها بالوحدة الوطنية، لكني لم أجد إجابة للسؤال : من الذي قتل القبطيين في "الكشح" ؟

لم يكن أمامي سوي حل واحد لفهم ما جري، هو أن أتصل مباشرة بمن أعرف من مصادر الأخبار، سواء في دوائر التحقيق أو بين عقلاء الأقباط. وقد نبهني البعض إلي التحقيق الصحفي الذي نشرته مجلة "روزاليوسف" في ١١/٢ تحت عنوان "تمثيلية اضطهاد الأقباط في الكش وحين رجعت إليه، وجدته يجيب عن أكثر الأسئلة المثارة بشأن الحدث، حتي أحسبه أوفي ما نشر في الموضوع.

أعدت علي مسامع من خاطبت السؤال الذي شغلني من البداية وهو: هل يعقل أن يظل الفاعل في جريمة القتل مجهولا، رغم مضي ٧٥ يوما علي وقوعها ؟ وهو السؤال الذي استدعي بعد ذلك أسئلة أخري عديدة، علي الأقل بعدد علامات الاستفهام المعروفة.. تلقيت قدرا من المعلومات الجديرة بالإثبات، الأمر الذي أثار عندي ملاحظات آحسبها بدورها واجبة الإثبات، وأبدأ بالأولي.

لا علاقة للمسلمين بالقضية

فيما يتعلق بالواقعة، فإن ما قيل عن أن الجريمة عادية ولا علاقة لها بالمسألة الطائفية صحيح مائة في المائة، وقد أصبح من المتيقن الآن أن ستة أشخاص من أبناء قرية "الكشح" التي يسكنها حوالي ٢٥ ألف شخص أغلبيتهم من الأقباط كانوا يلعبون الميسر في أحد الحقول – الستة من الأقباط – وقد استشاط أحدهم غضبا حينما خسر في اللعب، فأخرج من جيبه

مسدسا غير مرخص وأطلق منه الرصاص علي غريمه فأخطأه، وأصاب ابن عم له، الأمر الذي أفزع الآخرين فهبوا من جلستهم وشرعوا في الهروب من المكان، لكن قرينهم الغاضب ازداد انفعالا، فلاحقهم حتي أصاب هدفه وأسقط غريمه.. الآن لم يعد هناك شيء غامض في القضية، فالقاتل تم الاستدلال عليه واعترف، وقدم السلاح الذي ارتكب به جريمته، وهو قبطي اسمه شيبوب وليم سليمان ارسل، وقد تبين أن له ١٣ سابقة أكثرها يتعلق بقضايا بيع الخمور، وقد أدين في جرائم أخري منها السكر والسرقة. القتيلان قبطيان هما ابن عمه تامر سليمان ارسل، والثاني اسمه سمير عويضة حكيم، الشاهدان اللذان ساعدا سلطات التحقيق علي الوصول إلي الجاني هما اثنان من الأقباط كانا ضمن المجموعة المشاركة في اللعب، الأول اسمه عبده ميخائيل ملك، والثاني ياسر شهيد علام، وهما يقضيان فترة التجنيد الإجباري في قوات الأمن المركزي بالمنيا، وقد كانا في عطلة أثناء الحادث، جاءا لقضائها في قريتهما

"الكشح" وشاءت الأقدار أن يكونا علي مسرح الجريمة وقت وقوعها.

تظل الكلمة الأخيرة للقضاء بطبيعة الحال، كما يظل المتهم بريئا حتي تثبت إدانته، لكن ذلك لا يعني بحال أن الفاعل في الجريمة لايزال مجهولا، أو أن القضية ماتزال غامضة أو مائعة، وكل الذي عرف منها أن القتيلين من الأقباط، لأن هناك متهما اعترف بالجريمة، وهناك شاهدين تم التوصل إليهما، وقد أقرا بكل ما رأته أعينهما، أعني أن هناك عناصر واضحة للقضية معروضة أمام القضاء.

ليس صحيحا إذن أن الصورة مهزوزة أو غائمة كما هو الشائع عند البعض، وأحسب أن عدم وضوح التفاصيل بشكل كاف أسهم في بلبلة الناس. وهيأ فرصة مواتية للتأويل والدس، وإثارة الشكوك والهواجس . في حين أن ذلك كله كان يمكن أن ينحسر لو وضعت الحقائق التي تم التوصل إليها بين أيدي الجميع، بغير زيادة أو نقصان. بل أزعم أن ذلك هو السبيل الوحيد لإقناع الناس بما تلح البيانات والتقارير المختلفة في التأكيد عليه،

وبالذات كون القضية لا علاقة لها بالمسألة الطائفية من قريب أو بعيد، حيث لا مجال لشبهة من ذلك القبيل وأن أحدا من المسلمين لم يكن طرفا فيها من أي باب.

لماذا "تحريك" وليس حسابا ؟

عندي بعد ذلك ملاحظات أخري حول الحدث وأصدائه.

الملاحظة الأولي تتعلق بتجاوزات الشرطة أثناء التحقيق مع أهالي قرية "الكشح"، إذ من الواضح أن الشرطة فوجئت بالجريمة، حيث أزعجها مقتل اثنين من الأقباط في قرية صغيرة، كما أنها فوجئت بتكتم الأهالي للأمر، ورفضهم تقديم أية معلومات تفضي إلي استجلاء الحقيقة فيما جري. وسواء كان ذلك بسبب حساسية الناس إزاء الشرطة عموما، أو بسبب العصبية التي جعلت الناس يتكاتفون في التستر علي بعضهم البعض، فالشاهد أن الشرطة حين وجدت أن طريقها بات مسدودا، لجأت إلي أسلوب آخر، إذ بعد أن كانت التحريات تتم في القرية ذاتها، فإنها بدأت في استدعاء أهلها في مجموعات تلو الأخري، إلي مقر الشرطة في مركز "دار السلام" الذي تتبعه قرية "الكشح" وهناك مارست ضغوطها التي أسفرت عن ظهور الشاهدين، وأوصلت إلي القاتل بعد ذلك.

لقد ثارت الضجة لأن التجاوزات التي حدثت من قبل الشرطة أصابت عددا من الأقباط أبناء القرية، رغم أنها بالتأكيد لم تصل إلي تلك الدرجة البشعة التي صورتها صحيفة "تلجراف" وروجت لها بيانات بعض الجمعيات القبطية في الخارج. لكن الذي لم يذكره أحد، أن أول ضحايا لتلك التجاوزات كانوا بعض المسلمين الذين اتجهت إليهم الأنظار في البداية، ذلك أنه في أجواء التوتر الحاصلة في الصعيد بسبب بعض العمليات الإرهابية التي تقع هناك بين الحين والآخر، فإن أول سيناريو يخطر علي البال حين يقتل اثنان من الأقباط هناك، أن تكون وراء الجريمة عملية انتقامية إرهابية استهدفت إحراج النظام وتشويه صورته في الخارج. لذلك كان المسلمون في القرية،

وهم أقلية بين سكانها، في مقدمة الذين فتشت بيوتهم، واستدعوا إلي التحقيق في مركز دار السلام، ومن ثم كانوا أول الذين تعرضوا للتجاوزات التي طيرت وكالات الأنباء أخبارها، حين طالت الأقباط فيما بعد، وفي حين ابتلع الأولون جراحهم وصبروا علي الأذي حين لم يشر إليهم أحد، فإن الدنيا قامت ولم تقعد لما أصاب جيرانهم من أقباط القرية.

لا يفرحنا بحال أن يكون المسلمون قد تعرضوا لتلك التجاوزات أو كان لهم حظ السبق فيها، وإنما يحزننا لا ريب أن يتعرض أي إنسان في القرية، مسلما كان أو قبطيا، للمهانة والأذي.

حسنا فعل وزير الداخلية حين قرر نقل بعض ضباط الشرطة الذين نسبت إليهم التجاوزات من وظائفهم في مركز دار السلام، وإن لم أفهم لماذا سميت هذه الخطوة "تحريكا" ولم يقل للرأي العام صراحة إنهم أخطأوا بحق الناس ووجب حسابهم، أو إنه يجري التحقيق معهم فيما نسب إليهم، لكي يتحمل كل المسئولية عما اقترفت يداه.

قرأت تصريحا للدكتور أسامه الباز مستشار رئيس الجمهورية قرر فيه أن تجاوزات الشرطة هي المسئولة عن أحداث "الكشح"، وهذا موقف شجاع يعبر عن درجة مطلوبة من الصراحة والشفافية، الأمر الذي نتمني أن يتواصل، بحيث نتسلح بالشجاعة الكافية للمطالبة بحسب ــ وليس مجرد تحريك ــ المسئولين عن تلك التجاوزات، ثم بوقفها نهائيا في مراكز الشرطة.

إعلان المواقف تأخر كثيرا

الملاحظة الثانية أن تدخل رجال الدين المسيحي في سوهاج لم يكن إيجابيا ولا صحيا، ورغم أن القضية لم تكن تحتاج أصلا إلي تدخل رجال الدين، من حيث كونها جريمة قتل عادية ليس لها أي طابع سياسي أو طائفي، إلا أن الثابت في التحقيقات والتقارير الرسمية أن ذلك التدخل حينما تم لم يكن في مصلحة التهدئة والتسكين.. كما أنه حاول التأثير علي سير التحقيق بغير مبرر.؟

في التقرير الذي نشرته مجلة "روزاليوسف" تفصيلات مهمة في هذا السياق، وقد كانت عناوين التقرير دالة علي ذلك، منها مثلا: قس ذهب إلي معسكر أمني في المنيا وسجل اسمه في دفتر الزيارات وطلب إجازة لشاهدي الجريمة وأخذهما في سيارته.. ثم أخفاهما يوما، هل هناك ثأر "بايت" بين الأنبا ويصا (أسقف البلينا) والشرطة منذ ١٧ عاما (أي حين ألقي القبض عليه في حملة الاعتقالات عام ٨١) ؟ وعلي غلاف المجلة كان العنوان كما يلي: "فتنة الأسقف وبائع الخمور ولاعبي القمار".

التحقيقات والتقارير أشارت إلي أن أسقف البلينا أرسل بعض القسس الذين قضوا أياما في القرية، واثاروا الناس ضد الشرطة والنيابة وأنه أوفد أحد القسس إلي المنيا لإخراج الشاهدين من معسكر الأمن المركزي وإقناعهما بتغيير أقوالهما، وأن الشاهدين قضيا الليلة داخل دير السيدة العذراء في المنيا ، ثم ذهبا بعد ذلك في سيارة القسيس إلي النيابة حيث غير أحدهما أقواله واعترف الثاني بالضغوط التي مارسها عليه القسيس، وانتهي الأمر باحتجاز الشاهدين.

أكثر من ذلك فقد نقل عن الدوانر المحيطة بالبابا شنودة قوله إن الصورة التي نقلها إليه الأنبا ويصا عن أحداث "الكشح" كان مبالغا فيها، وقالت تلك الدوانر إن البابا عاتبه في اجتماع نوقشت فيه القضية بحضور بعض المسئولين في الحكومة.

إذا صحت هذه المعلومات، فإنها توحي بأن ثمة تجاوزات أخري حدثت من جانب

بعض رجال الديـــن في ســـوهاج أدت إلي توظيف الموضوع سياسيا وإعلاميا، الأمـــر الذي يثير تساؤلا عما إذا كـــان الأمـــر يتطلب بدوره حسابا وتحديدا للمســئولية، ولو علي سبيل "التحريك"!

الملاحظة الثالثة أن الردود المصرية التي حاولت احتواء القضية وإعـــلان وجـــه الحقيقة فيـــها، تـــأخرت كثـــيرا، فهيئـــة الاستعلامات اصدرت بيانهـــا في ٢٥/١٠، أي بعد ٧٠ يوما بالضبط، وفي أعقـــاب الضجة التي أحدثـــها تقريـــر :"صنـــداي تلجراف"، ولو أن بيانا صدر عن أية جهـــة رسمية مصرية ابلغ الرأي العام بما حـــدث حينما استكملت عناصر القضية لاختلـــف الأمر كثيرا، ولما أحدث تقرير التلجـــراف صدي يذكر ، ولما ثارت هذه الجمعيـــات القبطية في الخارج.

علي صعيد آخر فإن بيان قداسة البابـــا تأخر بدوره كثيرا، فقد صـــدر في ١١/٦ أي بعد أكثر من ثمانين يوما مـــن وقـــوع الجريمة، وبعد أن تفاقمت القضية وأحدثت تداعياتها المعروفة، ولو أن الإشارات المهمة التي وردت فيه أعلنت في وقـــت مبكـــر، لقطعت الطريق أمام الكثير من المحـــاولات الخبيثة التي تعمدت تجريح وجـــه مصـــر والتنديد بما يجري فيـــها، وأعـــني بتلـــك الإشارات ما قاله عن رفضه الإســـاءة إلي سمعة مصر. فضلا عن رفضه أي تدخـــل أجنبي في شئونها الداخلية.

باسم من يتكلمون؟

الملاحظة الرابعة تتعلق بممارسات بعض المنظمات القبطية في الخارج، التي أصبـــح سجلها يشين انتماءها لمصر، لكثرة تطاولهـا علي البلاد وتحريضها الدول الغربية لكـــي تمارس ضغوطها المختلفة عليـــها، بحجـــة اضطهاد الأقباط فيها. وهـــذه المنظمـــات تضم ٣ فئات من الناس قسس يرأســـون الكنائس القبطية في الخارج، ومن ثم يتبعون الكنيسة في مصر، ويعينون مـــن قبلـــها، ويفترض أنهم يلتزمون بسياستها ويعملـــون بتوجيه منها. أما الفئة الثانية فتضم نفرا من غلاة المتعصبين الذين قد تتفاوت دوافعـــهم ومصالحهم وارتباطاتهم بالجهات الأجنبيـــة، وهؤلاء انقطعت صلاتهم بالوطن، ولم يعـــد لهم فيه شيء يبقون عليه، ومـــن ثم فلـــهم

مصلحة أكيدة في الإثارة والتهييج والتحريض وتلطيخ سمعة الوطن بكل وسيلة.

(في صباح السبت ١١/٧ تحدث أحدهم من الولايات المتحدة ــ اسمه شوقي كراس ــ في أحد برامج الإذاعة البريطانية قال: إن شيخ الأزهر السابق الشيخ جاد الحق أفتي بإهدار دم الأقباط، وتلك أكذوبة كبري، لكن لك أن تتصور تأثيرها لدي المستمعين).

الفئة الثالثة من المهاجرين المنخرطين في تلك المنظمات تضم شريحة من عقلاء القبط وأسوياتهم الذين لا يزالون يرتبطون بمشاعر الاعتزاز والود مع وطنهم، ومن وطنهم، ومن ثم فإنهم ليسوا أطرافا في الحملات التي تشن للإساءة إليه, ومنهم من عبر عن اعتراضه وتحفظه علي نهج الغلاة وتشكك في مقاصدهم، غير أن صوتهم غير مسموع، لأن أصوات الغلاة والمهيجين هو الأعلي دائما، وربما كان الأكثر جاذبية وإغراء للشباب المتحمس في كل مكان.

أكثر ما يهمني في هذه الخريطة هما الفئتان الأولي والثالثة، فالأولي التي تمثل الكنيسة في مصر ورئاستها، الأمر الذي أحسبه يقتضي أن تكون أكثر التزاما بمواقفها المعلنة . لكن ما نلحظه أن بعض رؤساء الكنائس في الخارج يشاركون في حملات التشهير والتهييج, وقد ذكر في الأونة الأخيرة اسما المطران سرابيون أسقف كنيسة لوس أنجلوس، والأنبا صموئيل فاهو أو فاهم رئيس الكنيسة في سيدني باستراليا. ومثل هذه "التجاوزات" تثير تساؤلا حول موقف الكنيسة المصرية من المسئولين عنها، وعن الحد الأدني فالعلاقة بين الطرفين تحتاج إلي ضبط وتحرير في مواجهة الرأي العام، حتي لا تحمل الكنيسة المصرية بأوزار المتجاوزين والمنفلتين في كنائس الخارج.

أما فئة عقلاء القبط في الخارج فينبغي أن يبذل جهد جاد للحفاظ علي استمرار علاقة أفرادها الطبيعية بالوطن، وهم الأولي بالتواصل والعناية، حتي لا يصبحوا فريسة للبلبلة التي يمارسها الغلاة والمهيجون، وأكثر ما أخشاه أن يوضع الجميع في سلة

واحدة، ولا يتم التمييز بين المعتدلين والمتطرفين، فينتهي الأمر بتعزيز صفوف الغلاة وتوسيع جبهة المتحاملين علي مصر، وهم الذين يمثلون الفئة الثانية التي أحسبها حالة ميئوسا منها، نظرا للدور المشبوه الذي يقوم به أفرادها.

هذا التسمم في الداخل

بقيت عندي ملاحظة خامسة وأخيرة تتمثل في أن كثيرين منا حينما تنفجر قضية بمثل حادثة "الكشح" تستوقفهم وتثير استياءهم حملات التنديد والتحريض التي تشنها الصحافة الأجنبية، ومعها المنظمات القبطية في الخارج التي تردد مختلف الصيحات الداعية إلي انقاذ المسيحيين في مصر من الاضطهاد، وهو الاستياء الذي تردد بذات الدرجة في داخل مصر حينما أصدر الكونجرس القانون المتعلق بمنع اضطهاد الأقليات، وكتب كثيرون معتبرين أن ذكر مصر في هذا السياق هو من قبيل

وبين يدي مقال نشرته إحدي المجلات القومية ذكر فيه كاتبه أن المسلمين الذين "غزو" مصر فإن دولتهم الفاطمية كانت التغليط والافتراء والتشهير الخ غير أن ما يلفت النظر أننا نركز أبصارنا علي الخارج، ولا نلقي بالا لعمليات التحريض والإثارة التي تحدث في الداخل، تلك التي تعمق من فكرة الاضطهاد، وتبث الألغام واحدا تلو الآخر في نسيج العلاقة بين المسلمين والأقباط. إن في مصر مراكز بحثية ممولة من الخارج، ما برحت تلح علي تغذية فكرة دونية الأقباط واضطهادهم، وفي بعض ما تنشره صحفنا خطاب متكامل يدعم هذه الفكرة، لا يكف عن تحريض الأقباط واستثارتهم، بحجة أنهم مواطنون من الدرجة الثانية" كرامتهم مهدرة وحقوقهم ضائعة. وبأذني سمعت أحد الناشطين في مجال حقوق الإنسان يقول في ندوة عقدت بلندن إن المسيحيين يجبرون علي دفع الجزية للمسلمين في الصعيد (مستخدما نفس لغة الافتراء والتغليط التي نشر بها تقرير الصنداي تلجراف).

تقطع ألسنة الأقباط الذين يتكلمون لغتهم،الأمر الذي أدي إلي انقراض اللغة المصرية القديمة وسيادة اللغة العربية. وقد

نشر الكاتب مقالتـــه المليئـة بالأغـاليط المسمومة تحـــت عنـوان "تغـير اللســـان المصري"، ونسب حكاية قطع الألســـنة إلي مؤرخين أقباط لم يذكرهـــم!وفي الأســـواق رواية نشرتها أخـــيرا إحـــدي المؤسســـات القومية محورها الأساسي يدور حول عذابات الأقباط تحت الحكم الإسلامي، وقبل ســـنتين صدر كتاب آخر عن الفتـــح الإســـلامي والعربي لمصر يعتبر كارثة مزدوجة حلـــت بالبلاد وأنزلت مختلف الشـــرور والمظـــالم بالأقباط وليت ذلك كان تاريخا ثابتا وموثوقا فيه، لكنه تجميع خبيث لقمامة التاريخ يعتمد علي أكثر المصادر غلوا وكراهية للمسلمين، حيث بعضه مشوه والباقي مختلق ومكـذوب ولا اصل له.

مثل ذلك التسميم الملـــح والمســـتمر للعلاقة بين المسلمين والمســـيحيين يشـكل مصدرا أساسيا للحساسية والتوتر بين إخـوة الوطن، حتي أحسبه لا يقل خطـورة عمـا يفعله الإرهابيون حين يقتلـــون قبطيـا أو يعتدون على كنيســـة. لأن أمثـال تلـك الكتابات تبث السموم والألغـــام في تربـة الوطن باتساع رقعته، الأمر الذي يدعـو إلي التساؤل عن السبب في الغضب لما ينشر من حملات التشـــويه والافـــتراء في الخـارج، والسكوت علي مثل تلك الحملات إذا كان مصدرها في الداخل

فهمي هويدي

رمضان شهر الانتصارات

لايظن ظان أن مجرد الصيام والقيام، وتلاوة القرآن، وبذل الصدقات وأنواع الإحسان.. تلك العبادات الفردية التي تجتمع في رمضان هي محصلة الشهر فحسب! أو هي غاية الفريضة! إن ذلك الظن يحجم مفعول الفريضة، ويرضخ صاحبه صاغرا للمفهوم العلماني بأن الدين ضمن علاقة بين العبد والرب، هذا المفهوم الدخيل علي ديننا، علي كلياته وجزئياته.

توأمان:

تأملت فتعجبت من اجتماع الجهاد القتالي مع رمضان في أكثر أيام أمتنا، فلم يكن عبور العاشر من رمضان ١٣٩٣هـ هو الحدث الفذ، بل سبقته أيام عظيمة أعز الله فيها الإسلام وأهله، وأذل الكفر وأهله، لقد كانت للمسلمين المجاهدين صولات وجولات في آسيا وأوربا وإفريقيا..

وتحطمت العنجهية الجاهلية:

في منتصف رمضان، وبالتحديد في السابع عشر منه، وفي "بدر" تحطمت العنجهية الجاهلية، وبدأت انطلاقة الإسلام في الجزيرة العربية. في "بدر" سقطت رأس أبي جهل فرعون هذه الأمة، بأيدي غلامين من أبناء الإسلام، وداست القدمان النحيلتان لعبدالله بن مسعود فوق صدر الطاغية الأكبر الذي أذاق المسلمين العذاب ألوانا!!

ما أحقر الطغاة في لحظات سقوطهم! نمرود تسقطه بعوضة! وفرعون يغرق كالأرنب بين جيش تعداده مليون وستمائة ألف! (راجع قصص ابن كثير). وشاه إيران تدمره فيروسات السرطان! وشاوشيسكو يهرب ولكن إلي غرفة إعدامه! وهو ينكر صانع الإرهاب العالمي لايجد سريرا يعالج عليه في أي دولة! وسيسكو يهلكه السرطان! وسوهارتو تسقطه ثورة الحجارة! والبقية ستأتي في

حياتكم إن طالت أعماركم!! وأبشروا فقد ظهرت بشائر النهايات..

نعود إلي فرعون هذه الأمة.. أتتذكرون غطرسة أبي جهل وكبرياءه حين أفلتت عير قريش؟ كان يمكن أن يعود راضيا بالسلامة، ولكنه وقف ورفع صوته "الحماري" مقسما بالله : "والله لانرجع حتي نرد فنقيم بها ثلاثا، فننحر الجزور، ونطعم الطعام ونسقي الخمر، وتعزف لنا القيان، وتسمع بنا العرب، وبمسيرنا وجمعنا فلايزالون يهابوننا أبدا

ـ إن الضربة الوقائية ، والمبادأة الأمنية نظريتان قديمتان، ولكن هل تنفعان ضد أصحاب العقيدة؟؟ ربما في جولة ما يحدث انحسار لسبب أو لآخر، ولكن العاقبة للمتقين.

وقبل أن تنتهي المعركة في بدر سقط "الجعجاع"، وهاهو أبو جهل زعيم المنطقة، وكلب حراسة المجتمع الجاهلي ملقي علي الأرض، مبتور الرأس، فيا لعظمة الموقف يوم ١٧ رمضان!

ثم سقط عتبة بن ربيعة!

ثم سقط أمية بن خلف!

ثم سقط العاص بن هشام بن المغيرة!

تساقط الزعماء العرب الأشاوس، تساقطت الرموز، وتحطمت العنجهية الجاهلية بضربات الصائمين في رمضان، وتشكل في الشهر الرمز، بل المسرح لمقاتلة الأهواء، ومصارعة الجبروت مهما كانت قوته أو قسوته في دنيا البشر!!

ـ لقد مر علي الدعوة خمس عشرة سنة، وأهل الكفر لا هم لهم سوي محاربة الدعوة، وتعذيب المسلمين وتصفيتهم جسديا أو تطفيشهم، ومصادرة أموالهم وأرزاقهم! كل ذلك من أجل موروثات عفنة، وقومية نتنة، ومناصب هزيلة في مجتمع عربي تائه تافه بين حضارات شرقية وغربية تستعبد البشر.. ألا ما أشبه الليلة بالبارحة! لقد كان يوم "بدر" أول أيلم الله لهذه الأمة، أفلا نحتفل به؟ كان يوما شهدته الملائكة مع ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا، فياله من يوم! فلا أوحش الله منك يارمضان!

وتهاوت الأصنام:

في رمضان أيضا، وفي ثلثه الأخير بعد اليوم العشرين من العام الثامن، وفي يوم

الجمعة، يدخل النبي ــ صلـــي الله عليـــه وسلم ــ مكة في عشرة آلاف مســـلم، ثم يطوف بالبيت، وحول الكعبـــة وفوقـــها ثلاثمائة وستون صنما، فجعـــل يضربهـــا بالقوس ويقول: (جاء الحق وزهق البـــاطل إن الباطل كان زهوقا" . فتنكفيء الأصنـلم ولايقيمها أحدا. ثم أرسل النبي صلـــي الله عليه وسلم ــ نخبة من أصحابه إلي مواضع الأصنام الكبري فهدمتها وحطمتها! فـــلا أوحش الله منك يارمضان!

معلومات في ذاكرة رمضان:

تعالوا معي نفتش في ذاكرة رمضـــان، تلك الذاكرة الـــتي لايصيبـــها النســـيان ولاتشيخ! سنجد هذه المعلومات:

١ــ سرية حمزة : في رمضـــان الشـــهر السابع من الهجرة.

٢ــ غزوة بدر: في ١٧ رمضان سنة ٢ هـــ بقيادة النبي ــ صلي الله عليه وســـلم ــ .

٣ــ فتح مكة: في ٢٠ رمضان ســـنة ٨ هـــ بقيادة النبي ــ صلي الله عليه وسلم.

٤ــ معركة البويب: في رمضان ســـنة ١٣ هـــ، ضد الفرس وقائدها المثني بـــن حارثة، وقد فتح الطريق لفتح فارس كلها.

٥ــ فتح بلاد النوبة: في رمضان ســـنة ٣١هـــ . وقائدها عبدالله ابن أبي سرح.

٦ــ فتح الأندلس : في رمضان ســـنة ٩٢ هـــ، بقيادة طريف ابـــن ملـــوك، ثم طارق بن زياد.

٧ــ فتح جنوب فرنسا: في رمضان سنة ١٠٢ هـــ ، بأوامر من السمح بن مـــالك الخولاني.

٨ــ معركة بلاط الشهداء : في رمضـلن سنة ١١٤ هـــ ، بقيـــادة عبدالرحمـــن الغافقي.

٩ــ القضاء علي فتنة الخرّ مدينيـــة: في رمضان سنة ٢٢٣هـــ وقائد المسلمين هـــو "الأفشين"، وكـــانت إحـــدي حركـــات الزندقـــة كالماركســـية أو القاديانيـــة أو البهائية.

١٠ــ فتح عمورية: في رمضان ســـنة ٢٢٣هـــ، بقيادة المعتصم.

١١ــ معركة حارم: في رمضان سنة ٥٥٩هـ ، بقيادة أسد الدين شيركوه، وضد الصليبيين.

١٢ــ معركة صفد: في رمضان سنة ٥٨٤هـ ، بقيادة صلاح الدين الأيوبي، بعد حطين، ضد الصليبيين.

١٣ ــ معركة عين جالوت: في رمضان سنة ٦٥٨هـ، بقيادة سيف الدين قطز، ثم الظاهر بيبرس ضد التتار

١٤ــ فتح أنطاكية: في رمضان سنة ٦٦٦ هـ ، بقيادة الظاهر بيبرس، ضد بقايا الصليبيين.

١٥ــ فتح أرمينيا الصغري : في رمضان سنة ٦٧٣هـ ، بقيادة الظاهر بيبرس ، ضد الصليبيين.

١٦ــ معركة شقحب: في رمضان سنة ٧٠٢ هـ بقيادة ابن تيمية، والخليفة العباسي المستكفي بالله، ضد التتار.

١٧ــ فتح قبرص : في رمضان سنة ٨٢٩هـ ، بأمر السلطان المملوكي الأشرف برسباي، ضد الصليبيين.

١٨ــ فتح البوسنة والهرسك: في رمضان سنة ٧٩١ ــ ٨٢٧هـ. بقيادة السلطان مراد الأول العثماني ،ضد الصرب الصليبيين.

١٩ــ معارك الحبشة: في رمضان سنة ٩٣٥هـ، بقيادة الإمام: أحمد القرين (أحمد الجران)، ضد الصليبيين.

٢٠ــ عبور قناة السويس: في رمضان سنة ١٣٩٣هـ، ضد اليهود ، بأمر من الرئيس السادات ومؤازرة الملك فيصل. وهذه المعركة هي أول انتصار لجيش نظامي عربي علي اليهود منذ قيام الكيان الصهيوني في فلسطين.

وبعد: فماذا نقول عن اجتماع الجهاد والصوم بهذا العدد الكبير؟ أهي مصادفات؟ فإن الصدفة لم تصنع شيئا حقيرا، أفتصنع أحداثا عظيمة في شهر رمضان، وفي قارات الدنيا العظيمة؟

أعود فأقول: لايظن ظان أن مجرد الصيام والقيام وتلاوة القرآن، وبذل الصدقات وأنواع الإحسان هي كل أعمال المسلمين في رمضان، أو هي محصلة الشهر وغاية الفريضة.. وإنما للمسلمين في رمضان أعمال في آفاق الدنيا، فهل نستأنفها في هذا الشهر، أو في شهر قريب؟؟

عبدالقادر أحمد عبدالقادر

رمضان شهر الانتصارات

ما حدث عام ١٩٧٣ يستحق أن نبرزه بقولنا : كيف حدث ؟ كيف استطاع الإنسان المسلم أن يحقق ذلك الإنجاز ؟ وإذا كانت كل الحسابات العلمية والعملية تقول في ذلك الوقت إن العبور مستحيل – فلماذا نجح العبور؟ إننا أمام مدرستين في التفكير – المدرسة الاستعمارية – التي تحسبها بالكمبيوتر وتحاول أن تلقي في روعنا أن الآلة والكمبيوتر والطائرة والدبابة والصاروخ هي العوامل الحاسمة – وهناك المدرسة الإسلامية التي لا تقل أهمية عن الآلة والكمبيوتر والطائرة والصاروخ وغيرها – ولكن تقول إن الإنسان ذاته أقوي من كل هذه الأشياء وقادر علي تجاوزها – وخاصة إذا استمد هذا الإنسان قوته من الله تعالي – القادر علي كل شيء. والذي وعد جنده بالنصر. كانت مفاهيم تلك المدرسة تنتشر بين الرجال في كل موقع برضا النظام أو رغم أنفه – فوق السطح وتحت السطح وقد تجسدت تلك المفاهيم في تلك الصيحة الهائلة التي أطلقها الجنود في وقت واحد في كل جبهات القتال في العاشر من رمضان – تلك الصيحة التي روعت جنود الاحتلال وجعلتهم يفقدون صوابهم ويتحولون إلي قطعان من الماشية تنتظر الذبح، تلك الصيحة التي خلقت من الجنود في كل موقع كتلة واحدة متماسكة تستمد قوتها من الله تعالي القاهر فوق كل قوة والقادر فوق كل متكبر.

إن تتبع يوميات معركة رمضان يؤكد صحة النظرية الإسلامية التي تري أن الإنسان أقوي من كل الآلات والأسلحة والحاسبات الآلية طالما كان يستخدم ملهو متاح لديه من طاقات وطالما كان يبذل كل مافي وسعه من جهد. فعلي مستوي التدريب – بذل الرجال كل مافي وسعهم في هذا التدريب – وعلي مستوي التفكير فكر الرجال في كل صغيرة وكبيرة ودرسوا كل الاحتمالات .. وعلي مستوي التمويه نجح الرجال في إخفاء معالم تحركهم وفاجأوا العدو به وهكذا أكدوا أن الإنسان

المصري قادر علي خداع اليهود أساتذة المكر كان الخبراء السوفييت قد خرجوا من مصر عام ١٩٧٢ – حاملين معهم أسلحتهم وأجهزتهم – ولعل هذا يؤكد أن العمل كان مصريا صحيحا فلم يشارك فيه الخبراء السوفييت ولا أجهزتهم – الأمر الذي يؤكد أصالة وشجاعة وتفوق الجندي المصري، كانت الإمكانيات محدودة للغاية بعد أن تباطأ السوفييت في إعطاء مصر حاجتها من السلاح واعتمد الرجال علي الوسائل المصرية المتاحة لتحقيق العبور واقتحام الصعاب.

ففي مرحلة الإعداد والتحضير – قام الجيش المصري بالعديد من تجارب العبور علي موانع مائية تشبه قناة السويس إلي حد كبير جدا، وقام سلاح المهندسين المصري باعداد وتوفير معدات ومهمات العبور فتم تصنيع ٦٠% من الكباري محليا، وتمت صناعة ٧٥% من قوارب الاقتحام التي وصل عددها إلي ٢٥٠٠ قارب وتم التدريب الشاق علي إقامة الكبلري في أسرع وقت –برغم بدائيتها وعلي استخدام القوارب بشكل منظم جدا.

قام العلماء من رجال القوات المسلحة المصرية بدراسة بالغة الدقة لكل مايتعلق بالقناة كمانع مائي – كما تم تحديد أصلح الأماكن لإقامة المعابر واختيار أنسب الأوقات باليوم والساعة كما تم تحديد وإعداد الطرق والخداع.

والممرات اللازمة لوصول المركبات إلي أماكن العبور – كما تم اعداد الخطط المناسبة للتنسيق بين مختلف أفرع القوات المسلحة فقام سلاح الجو بدوره وقامت المدفعية بدورها وقام رجال الصاعقة البواسل بالعمل خلف خطوط العدو وتعطيل قواته – كما أن تلك القوات الخاصة استطاعت أن تبطل استخدام خراطيم المواد الملتهبة وذلك بأن قامت مجموعتان من رجال الصاعقة البواسل بالعمل خلف خطوط العدو وتعطيل قواته ـ كما أن تلك القوات الخاصة استطاعت أن تبطل استخدام خراطيم المواد الملتهبة وذلك بأن قامت مجموعتان من رجال الصاعقة قبل ساعة الصفر بوقت كاف بالتسلل إلي الضفة الشرقية للقناة وسدت مواسير المواد الملتهبة بتركيبة معينة من الأسمنت وبعض اللدائن سريعة التصلب كما قامت المجموعة الثانية بقطع خراطيم الطلمبات الماصة الكابسة.

وفي مواجهة الساتر الترابي ـ وبعد أن أثبتت التجارب عدم جدوي استخدام المفرقات أو غيرها من الوسائل ضده تفتق ذهن ضابط مهندس شاب عن اقتراح باستخدام طلمبات المياه " أسلوب التجريف" وهكذا نجحت تلك الفكرة الرائدة في فتح الثغرات اللازمة لعبور المركبات في الساتر الترابي. علي

أن تقوم قوات المشاة في الوقت نفسه بالعبور. فوق الساتر الترابي بأسلحتها وذلك باستخدام عربة يد يجرها الجنود تحمل الأسلحة والذخيرة اللازمة للتعامل مع العدو وخاصة الطلقات والمدافع الصغيرة المضادة للدبابات.

وهكذا نجحت خطة التغلب علي المانع المائي والساتر الترابي وإذا ماحللنا عناصر تلك الخطة نجد أنها اعتمدت علي الإنسان أولا وأخيرا، ففي مواجهة خراطيم المواد الملتهبة كان الاعتماد علي العنصر البشري (رجال القوات الخاصة وبأدوات بسيطة جدا) فقلمت هذه القوات إما بسد فوهات الأنابيب بالأسمنت واللدائن ـ أو بقطع خراطيم الطلمبات الماصة الكابسة، وهكذا كان العنصر البشري هنا فاعلا ـ لأنه لو قدر لهذه المواد أن تعمل لكانت النتيجة مروعة ـ وبديهي أنه سبق تنفيذ هذه العملية عمليات بحث شاقة واستطلاع وتحديد دقيق لأماكنها وكل هذا الجهد يعتمد أساسا علي الإنسان.

قارن بين هذا العمل وبين إلغاء هتلر لعملية عبور مشابهة بسبب وجود مواد ملتهبة قابلة للاشتعال في معاركه مع بريطانيا في الحرب العالمية الثانية.

وفي مواجهة المانع المائي تم الاعتماد علي الأدوات المحلية لصنع الكباري والقوارب ـ وتم التعويض عن بدائية الأدوات بكفاءة الرجال وشجاعتهم وهكذا فإن استخدام الأدوات المحلية يؤكد إمكانية تجاوز ضعف الإمكانيات بالمزيد من الاعتماد علي الطاقات الإنسانية ـ أضف إلي هذا أن الدراسة المضنية والتدريب الشاق علي العبور واختيار أفضل الأماكن والأوقات للعبور يؤكد صحة النظرية الإسلامية ـ فكل تلك الأمور هي جهد إنساني أولا وأخيرا.

وللتغلب علي الساتر الترابي الذي وصفه أحد الخبراء الروس بأنه يحتاج إلي قنبلة ذرية ـ استخدم المصريون فكرة عبقرية وهي استخدام طلمبات المياه "التجريف" وهي فكرة بسيطة وأدواتها متاحة وتؤكد أيضا أن الإنسان بمزيد من الجهد والتفكير والاخلاص قادر علي تجاوز أقوي الصعوبات، أضف إلي ذلك استخدام المشاة لعربة يد تحمل الأسلحة والذخيرة اللازمة وهي فكرة بسيطة أيضا قد مهدت الطريق أمام تلك القوات لتتسلق الحاجز الترابي منذ اللحظة الأولي ـ وهو الأمر الذي كان صعبا بل مستحيلا ما لم يتخفف الجندي من حمولته لو حملها علي كاهله وأراد أن يتسلق بها الساتر. وكانت هذه الأسلحة والذخيرة لازمة لاقتحام خط بارليف والتعامل مع الدبابات.

وعلي مستوي القوات الجوية المصرية ـ فإن الطيارين البواسل قد حولوا طائراتهم الأقل

كفاءة إلي طائرات أكثر كفاءة من العدو وذلك اعتمادا علي حسن تدريبهم وعلي شجاعتهم المنقطعة النظير، والأمر ذاته ينطبق علي رجال المدفعية والدفاع الجوي، وكل هذا الجهد الإنساني أسهم في نجاح العبور حيث أسهمت الضربة الجوية والمدفعية في تعطيل وشل قوات العدو فترة كافية تسمح بالعبور، وكذلك قيام رجال الصاعقة بمهمتهم خلف خطوط العدو – وهو أيضا أمر يعتمد علي شجاعة وبسالة وحسن تقدير هؤلاء الرجال للأمور وكلها أمور إنسانية.

إذن كل هذا يؤكد أن الانسان هو العامل الأهم في القتال ـ وهو ماتؤكده المدرسة الإسلامية. وهي تؤكد كفاءة وقدرة الإنسان المصري علي عكس ما تروج المدرسة الاستعمارية.

ونصل الآن إلي خط بارليف. ذلك الخط من الاستحكامات والتحصينات الذي أقامته إسرائيل واعتبره قادتها من أكفأ الخطوط الدفاعية وأن الجيش المصري غير قادر علي مواجهته. وبديهي أن هناك عمليات استطلاع ورصد قام بها رجال الصاعقة والاستطلاعات لدراسة ذلك الخط نقطة نقطة ودشمة دشمة، ودراسة نقاط القوة والضعف فيه ووضعوا الخطط اللازمة لاقتحامه وهذا كله جهد إنساني في المقام الأول ولولا تلك الدراسة التفصيلية والدقيقة لهذا الخط لكان اقتحامه مستحيلا. وقد كانت خطة اقتحام نقاط خط بارليف تقوم علي دكه بالمدفعية الثقيلة والطيران علي أن يقوم رجال المشاة والصاعقة باقتحام النقاط الحصينة والدخول إليها وإدارة معركة داخله. وقد نجح هذا الأسلوب أيما نجاح حيث إن الجندي الصهيوني غير قادر علي المواجهة المباشرة ـ وكان الجنود الصهاينة يفاجأون بمن يدخل عليهم داخل حصونهم ويدير معركة معهم ـ وكان هذا كله يعتمد علي شجاعة وكفاءة الإنسان أولا وأخيرا ـ فلم تكن نيران المدفعية ولا الطائرات ولا نيران الدبابات بقادرة علي تدمير هذا الخط شديد التحصين ـ وهذا يؤكد مرة أخري أن الإنسان كان هو العامل الحاسم في كل مراحل المعركة.

وعلي مستوي المعركة مع سلاح الطيران الصهيوني ـ أقوي وأفتك الأسلحة الإسرائيلية وأشدها فعالية ـ والذي كانت إسرائيل تعتبره سلاحها الحاسم في المعركة ـ وبالنظر إلي التفوق النوعي والكمي الهائل في هذا السلاح فإن عبء شل فاعلية هذا السلاح وقعت أساسا علي وسائل الدفاع الجوي المصرية المكونة من بطاريات المدفعية المضادة للطائرات والصواريخ الموجهة أرض جو وخاصة سام ٧ الذي يحمله فرد المشاة وبالطبع فإن ذلك كان

يقتضي نظاما صارما من التنسيق والاستيعاب والكفاءة والتدريب للأطقم التي شغلت هذه الوسائل والتي نجحت في تحقيق غطاء فعال للقوات التي تعبر أو التي عبرت إلي الضفة الشرقية للقناة – وإذا ماوضعنا في اعتبارنا الحقيقة العسكرية التي تقول : "إن الطائرة لاتواجهها إلا طائرة" لأدركنا الإنجاز الهائل الذي حققه رجال الدفاع الجوي في تلك المعركة ـ حيث استطاعوا رغم الحقائق العسكرية أن يحققوا هدفهم في شل قوة العدو الجوية اعتمادا علي كفاءتهم وشجاعتهم وبذلهم الإنساني ـ وهو مايؤكد أن الانسان كان دائما هو العنصر الحاسم رغم كل شيء.

فإذا وصلنا إلي سلاح الطيران المصري ـ والذي كان الطيران الإسرائيلي يتفوق عليه كما ونوعا. نجد أن هذا السلاح قد استطاع في الساعات الأولي للمعركة أن يقوم بضربة مركزة وحاسمة لقواعد وقوات وشبكة اتصال العدو في سيناء مما أخر دخول سلاح الجو الصهيوني سماء المعركة مما أدي إلي تحقيق عملية العبور بنجاح ـ وقد اعتمد سلاح الجو المصري في ذلك أساسا علي كفاءة الطيارين وفدائيتهم وروحهم العالية ـ وهي أمور إنسانية أساسا.

علي أن النقطة الجديرة بالاهتمام هي تلك السيمفونية المتناسقة والمتجانسة للتنسيق بين الطيران والدفاع الجوي والتي هي أيضا محصلة الجهد الإنساني أولا وأخيرا. ولعل الدور الهام والخطير الذي لعبه سلاح الطيران المصري ووسائل الدفاع الجوي المصرية في حرب رمضان يؤكد أن العيب لم يكن في رجال ذلك السلاح في عام ١٩٦٧.

ويمكننا أن ندرك خطورة ماقام به السلاح الجوي ووسائل الدفاع الجوي المصري في حرب رمضان إذا ماقرأنا ماقاله موشي ديان في اليوم الثاني من القتال: "لقد استطاع المصريون تحييد سلاحنا الجوي ـ وأنني آمل أن يرسل لنا الأمريكيون الأسلحة التي طلبناها".

وقال الجنرال: "أنتوني فارا رهوكلي" أستاذ التكتيك في الجيش البريطاني: "إن الطيارين المصريين أزالوا الدور الأسطوري للطيران الإسرائيلي في حرب ١٩٧٣ وبالتالي تضاءل دور المدرعات الإسرائيلية في تحقيق أي نجاح خلال معاركها التصادمية".

وقد قال الخبير الأمريكي روبرت هونز "إن الطيارين وسلاح الدفاع الجوي المصري والسوري استطاع تخفيض القوات الجوية الإسرائيلية إلي النصف في الفترة من ٦ ـ ١٠ أكتوبر ١٩٧٣ وبنهاية هذه الفترة تضاءل نشاط الطيران الإسرائيلي إلي حد كبير وبعيد إلي أن بدأ الدعم الجوي الأمريكي بالطائرات والطيارين الأجانب"

إذا فقد كان سلاح الجو المصري رائعا كما أن سلاح الجو الصهيوني قدمني بخسارة فادحة وتم تحييده وإخراجه من المعركة برغم التفوق النوعي والكمي الهائل له ـ ألا يؤكد هذا أن العنصر الإنساني والكفاءة القتالية كانا العاملين الأهم في هذا الصدد ؟

وإذا كانت إسرائيل تملك قوة مدرعة متفوقة علي حد رأي الخبراء العالميين والذي وصل الأمر بأحدهم أن يقول : "إنها واحدة من أقوي المدرعات في العالم". فإن علينا الآن أن نري كيف استطاع المقاتل المصري أن يواجه تلك المدرعات ويسحقها.

وقد اعتمدت الخطة المصرية علي أن تكون الموجات الأولي للعبور والاقتحام للمشاة. وأن علي هؤلاء المشاة أن يتصدوا للدبابات الإسرائيلية وتم تزويد هؤلاء المشاة بمختلف الأسلحة المضادة للدبابات في نفس الوقت الذي تقوم فيه المدفعية والدبابات المصرية علي الضفة الغربية للقناه بالمساعدة في مواجهة تلك الدبابات كما تم عمل أكمنة يربض فيها عدد من جنود المشاة فوق الساتر الترابي في الضفة الغربية للقناة لاصطياد الدبابات الإسرائيلية بصواريخهم المضادة للدبابات "قناص الدبابات".

وقد نجحت القوات المصرية في شل فاعلية الدبابات الصهيونية واصطياد عدد كبير منها وخاصة علي يد قناصي الدبابات الذين وصلت شهرة بعضهم إلي مستوي كبير مثل عبد العاطي صائد الدبابات الذي استطاع أن يدمر أكثر من عشرين دبابة.

والآن لنقرأ بعض أقوال قادة العدو لنعرف إلي أي مدي نجح المقاتل المصري في التصدي للدبابة وشل فاعلية قوات المدرعات الصهيونية. يقول زئيف شيف الخبير الإسرائيلي: "كانت إصابات رجال المدرعات كبيرة".

ويقول قائد إحدي سرايا المدرعات ـ الضابط "باروخ شمير" نظرت حولي فشاهدت قذائف نارية مشتعلة ترقص في الجو وهي في طريقها إلي دباباتنا القريبة مني ـ لم أفهم بعد ماذا يحدث ـ ولكني فهمت في وقت لاحق أن هذه صواريخ وأن المشاه المصريين الواقفين أمامنا لايقلون خطورة عن الدبابات، كان هذا بالنسبة لنا مفاجأة تامة وطوال ذلك اليوم كنت أشاهد هذه القذائف النارية تتنزه في الصحراء وهي تنطلق من قلب الرمال، اشتعلت النار في دبابتي هي الأخري قفزنا منها كنا مذهولين، ولم يكن حظ الدبابات الأخري في السرية بأوفر من حظنا ـ فعندما نظرنا من خلف التلال الرملية، شاهدنا مشاعل محترقة كانت هذه فيما مضي دبابات السرية".

يقول الكاتب الأمريكي "كنث بـلور": في الأيام الثلاثة الأولي لحرب ١٩٧٣ علي الجبهة المصرية قام الإسرائيليون بشن هجمات مضادة سريعة بالمدرعات ـــ ولكنهم كانوا يفشلون في كل مرة ويصابون بخسائر جسيمة حتي إنه دمر لهم أكثر من ٢٥٠ دبابة علي أيـدي المشـاة المصريين الذين صمدوا في الصحراء المكشـوفة ومعهم الصواريخ والقذائف المضادة للدبابات.

وهكذا أثبت أفـراد المشـاة المصريـين المسلحين بالأسلحة المضادة للدبابات قدرتهـم علي هزيمة سلاح المدرعات الإسرائيلي ـــ وهو مايثبت مرة أخري أن الإنسان هـو العـامل الحاسم في القتال.

يقول موشي ديان: "إن أخطر مانواجهـه الآن في سيناء هم المشاه المصريـون . إنهـم مزودون بصواريخ صغيرة يختفون بهـا عـن الأنظار، فإذا ماتقدمت الدبابات الإسـرائيلية أطلقوا عليها صواريخهم فيصيبونهـا وتصبـح عاجزة تماما".

إننا الآن سنرسم بطريقة موجزة صـورة حقيقية أخري حدثت علي مشـارف مدينـة السويس في الأيام العشر الأخيرة من رمضـان توضح إلي أي مدي يتمتع الإنسان المصـري بصلابة غير عادية وبقدرة فذة علي المواجهة.

كانت القوات الصهيونية قد نجحـت في التسلل عبر الثغـرة في منطقـة الدفرسـوار واستطاعت أن تصـل إلي مشـارف مدينـة السويس وأن تحاصرها وحاولت تلك القـوات أن تحتل المدينة ـــ وكان معني احتلال المدينة لا قدر الله أن حبلا قد التف حول عنق الجيـش الثالث في سيناء ـــ وأن القـاهرة ذاتهـا قـد أصبحت مهددة.

تعرضت مدينة السويس لقصف بشع مـن الطائرات والدبابات والمدفعيـة "الصهيونيـة" وكانت المدينة تعـاني مـن حصـار الجـوع والعطش. ولكن أهل المدينة الشرفاء قـرروا أن يقاتلوا ـــ فلم يتعود المسلمون علي حد قولهـم أن يستسلمو وهـددت مكـبرات الصـوت الصهيونية بدك المدينة ولكن ذلك لم يفـت في عضد أهالي المدينة.

وكعادة الأمة حين يجد الخطـر فقـد لاذ أهالي السويس بالمسجد ـــ واتخذوا من الشـيخ المجاهد حافظ سلامة قيادة لهم لما عرفوا عنه من طول الجهاد والبلاء في سبيل الله ـــ واجتمـع أهل المدينة في مسجد الشـهداء وقـرروا أن يصمدوا وأن يقاتلوا، وصمدت المدينة للحصار وتقاسم أهلها كوب الماء وكسرة الخبز ـــ بـل إنهم أرسلوا شيئا منها إلي رجال الجيش الثـلث المحاصرين في سيناء، استخدم أهالي السـويس ماتيسر لهم الحصول عليه من الأسـلحة مـن جنود الجيش الثالث في المدينة وخاصة الذيـن استشهدوا أو جرحوا، كان مركز القيـادة في

مسجد الشهداء. وانطلقت المجموعات المجاهدة من المسجد لتسد منافذ المدينة بالسيارات والمصفحات المحطمة، وقامت تلك المجموعات بعمل الأكمنة في مداخل المدينة واستطاعت أن تصد جميع الهجمات الصهيونية، وكانت الدبابات التي تنجح في دخول المدينة تتعرض للتدمير علي يد الأهالي الذين استخدموا في ذلك ماتيسر من الأدوات شارك الجميع في تلك المعارك ـ الرجال والأطفال والنساء ـ والعمال والتجار ورجال الدين ـ ولم ينج جندي صهيوني واحد تجرأ علي دخول المدينة واستطاعت المدينة أن تظل صامدة لتخوض معركة بعد معركة شاهدة علي قدرة الإنسان المصري.

إن عددا من الملاحظات يمكن أن نسجلها هنا ـ فبرغم القوات الصهيونية الضخمة والمسلحة جيدا ـ وبرغم بساطة إمكانيات أهالي السويس فإن أهالي السويس نجحوا في الصمود لمدة طويلة برغم الجوع والعطش وآلاف القنابل والصواريخ، ويمكننا أن نفهم شراسة المعركة إذا ما أدركنا أن العدو الصهيوني كان يعول أهمية كبيرة علي سقوط المدينة لما لذلك من أثر نفسي وعسكري كبير. وكل هذا يؤكد أن الجماهير قادرة علي الصمود والانتصار مهما كانت قوة الأعداء ومهما كانت قوة تسليحهم، وأن الإنسان هو العامل الرئيسي والأهم في المسألة؟.

علي أن الأمر لم يقتصر في حرب رمضان علي الأداء البطولي لرجال القوات المسلحة المصرية أو هؤلاء الأهالي في السويس أو منطقة الدفرسوار التي قدر لهم أن يواجهوا القوات الصهيونية برجولة وشجاعة. بل إن روح رمضان قد سرت في جسم الأمة كلها. كانت المشاركة الشعبية في المعركة هائلة ورائعة. في كل قرية مصرية قريبة أو بعيدة عن جبهة القتال كانت قلوب الرجال والنساء والأطفال معلقة بالمذياع وأحاديث العلماء المجاهدين في المساجد يشرحون فيها أبعاد المعركة ومدى إنجازه في جبهة القتال ، كانت المساجد كخلايا النحل يجتمع فيها الأهالي ليتدارسوا أمر مشاركتهم في المعركة ووسائلها ـ قدم الناس كل ما لديهم من ملابس وطعام لدعم رجال القوات المسلحة.

وعرض الكبير والصغير أن يتبرع بدمه، وتكونت لجان للتضامن مع أهالي المقاتلين وخدمتهم. لم يكن هناك بيت في مصر كلها إلا ووضع كل مايملك تحت تصرف المعركة. ليس هذا فحسب ـ بل وعلي مستوي الأداء الوظيفي تخلص الجهاز الوظيفي المصري المشهور بالبيروقراطية من كثير من بيروقراطيته وأصبح الإنسان قادرا علي إنجاز طلباته في

أسرع وقت ـــ وقام العمال في المصانع بـللعمل ليلا ونهارا لزيادة الإنتاج وحمايـــة مصانعـــهم. كان كل شيء في مصر يتحرك بروح رمضان.

لماذا كان هذا ـــ وماهي دلالاتـــــه ـــ إن الحقائق المجردة . تقول إن العـــدو الصـــهيوني يمتلك أحدث الأسلحة وأقواها ـــ ويقف خلفه دول حلف الأطلنطي بإمكانياتهـــا الهائلـــة ـــ وعلي الجانب الآخر يقف الإنسان المصـــــري بأسلحة غير متكافئة ومع ذلك كانت النتيجـة أن هذا الإنسان قاتل فانتصر، كـــان العـــدو يمتلك أحدث أجهزة التنصـــت والتجســـس الأليكترونية وكان لديه المعلومات أولا بـــاول عن طريق الأقمار الصناعية وأجهزة الرصـــد التابعة لأمريكا ولحلف الأطلنطي وكان لـــدي الإنسان المصري أن يعتمـــد علـــي نفســـه في الاستطلاع خلف الخطوط وأن يحصل علـــي معلوماته بالعمليات الفدائية والتسلل.

كان العدو الصـــهيوني يمتلـــك أحـــدث الطائرات وأقوي سلاح جوي في المنطقـــة ـــ ومع ذلك نجح الإنسان المصـــري بـــالتدريب الشاق والاعتماد علـــي الجـــرأة والشـــجاعة والفدائية وأبسط الأسلحة أن يشـــل حركـــة قوات العدو الجوية.

كان العدو الصهيوني يمتلك أقوي ســـلاح مدرعات ـــ ولكن فرد المشاة والكومـــــاندوز استطاع بما يحمله من أسلحة بسيطة أن يحـــول هذا السلاح إلي ركام.

كان هناك مانع مائي لم يسبق له مثيـــل في تاريخ الحروب ـــ ولكن الرجال كان لديـــهم الإرادة فصنعوا المعابر والكباري والقـــوارب وصنعوا بأجسادهم وأرواحهم حائطا لحمايتـــها واستطاعوا العبور ، رغم كل هذا كان هنـــاك الساتر الترابي الذي قال عنه أحـــد الخـــبراء الروس إنه يحتاج إلي قنبلة ذرية ولكن عبقريـــة الإنسان المصري وبأدوات متاحة استطاعت أن تحدث ثغرات في هذا الساتر المنيع باســـتخدام فكرة عبقرية لأحد المهندسين المصريين "فكـــرة التجريف بمضخات المياه".

وكانت هناك خراطيم المـــواد الملتهبـــة. ولكن رجال الكوماندوز المجاهدين اســـتطاعوا أن يحيلوها إلي خراطيم صماء.

كان هناك خط بارليف المنيع ـــ ولكـــن كان هناك رجال المشاة الذين اقتحموا الحصون بأجسادهم فأحدثوا ذعرا هائلا لقوات العدو.

كان هناك شعبا يجاهدا بجـــانب الجيـــش المقاتل ـــ واستطاع أهالي السويس أن يصمدوا للحصار حصار الجوع والعطش والقصف وأن يحطموا كل الهجمات الصهيونية علي مشـــارف المدينة وأن ينقذوا الجيش الثالث في ســيناء وأن يحرموا القوات الصهيونية من فرصة الســـيطرة علي مدينة السويس بما لها من آثـــار نفســـية

وعسكرية، وكان هناك الإنجاز الرائع للعمـــال في المصانع والفلاحين في الحقول والموظفـــين في المكاتب.

كان هناك الإنسان المصري. الذي قـــاتل فانتصر.

إذن فقد كانت حرب رمضان هي القاعدة الصالحة لتقويم الإنسان المصري وليس حـــرب ١٩٤٨، ١٩٥٦، ١٩٦٧ ــ لأنه في كل تلك المعارك لم يحارب ــ فلا نســـتطيع أن نجعلـــها اختبارا صالحا ــ إذا فالحقيقة الأولي هـــي إذا قاتل الإنسان المسلم انتصر. والحقيقة الثانية أن ذلك الإنسان أقوي من الآلة، والحقيقة الثالثة : إنه إذا وجد هذا الإنسان سواء كان مقـاتلا أو مدنيا الظروف الصحيحة لاستخراج طاقاتـــه فإنه يكون عبقريا.

ولكن ماهذه الظروف الصحيحة؟

إننا إذا حللنا ظروف حرب رمضان مقارنـة بظروف حرب ١٩٦٧ نجد أن الظـرف الأول هو السماح لهذا الإنسان بالالتحام والقتـــال ونجد أن الظرف الثاني هو أن يكون الشـــحن المعنوي لهذا الإنسان مرتبط بعقيدته ووجدانـــه "الإسلام". فعلي حين كان الشحن المعنـــوي فيما قبل ١٩٦٧ يعتمد علي عقائد وأفكـــار لايعرفها ولايفهمها بـــل يرفضـــها الإنســـان المصري نجد أن الشحن المعنـــوي في حـــرب رمضان كان إسلاميا ــ فمن ناحيـــة قـــامت الحركة الإسلامية برضا النظام أو عدم رضـــاه بهذا الأمر ــ وقام به علماء الإسلام المجـاهدين الذين ذهبوا إلي الجنود في الخنادق وتحدثوا عن بدر وحطين وعين جالوت ــ وقام به الجنـــود أنفسهم بمبادرات شخصية منهم مـــع بعـــض الضباط ــ وأسهم في هذا الأمر أن توقيـــت المعركة جاء في رمضان وهو شهر انتصـــارات المسلمين أولا ــ وهو شهر ترتفع فيه الجوانـب الإيمانية للإنسان المسلم بصورة مباشرة. كمـــا أن موعد المعركة كان في نفس ذكري معركـــة بدر ــ أضف إلي هذا كله صيحة الله أكبر التي خرجت من صدور الجنود الصائمين.

والظرف الثالث هو أن الإنسان المصـــري تعرض قبل ١٩٦٧ لحالة من العزلة وفرضـت عليه القيادة السياسية ألا يفكـــر وأن يســـمع فيطيع وتم إخلاء الحياة السياسية من كل شـيء ماعدا حزب الحكومة "الاتحاد الاشتراكي"ليس هذا فحسب بل إن أي صاحب عقيدة كـــان يتعرض للسجن أو القتل أو التعذيب ــ بـــل مورس التعذيب علي الانسان العادي في حـــين أن الظروف قبيل حرب رمضان كانت أفضـــل كثيرا جدا في هذا الصدد.

حقا إنها الحرية وصدقا .. إنها العقيـــدة .. "والله غالب على أمره ولكن أكثر النـــاس لا يعلمون"

د. محمد مورو

رمضان شهر الانتصارات

إبان حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ تعالت صيحات علمانية تقول إن النصر لم يكن من عند الله وأنه نتيجة مقومات مادية وأسباب سياسية.. وهذا دائما هو التفسير المادي العلماني لكل الأحداث، في حين أن الحقائق والمشاهدات الواقعية التي أكدها الأعداء قبل الأصدقاء تؤكد أن النصر كان معجزة إلهية وأن صيحة الله أكبر كانت شعارا انطلق به الجنود للعبور من الهزيمة إلي النصر.. وقد ذكر الشيخ عبد الحليم محمود رحمه الله في إحدي خطب الجمعة بعد النصر بأيام بأنه قد رأي في منامه قبل الحرب بأسابيع أن الرسول صلي الله عليه وسلم يعبر القناة فاستبشر بالنصر.. وفي تلك الأثناء تحدث حسين عاشور صاحب مؤسسة المختار الإسلامي إلي الروائي والأديب نجيب الكيلاني رحمة الله عليه ليكتب قصة هذا الانتصار وكان هذا قبيل سفره إلي إحدي الدول العربية بأسابيع.. وجمع حسين عاشور المادة العلمية والكتب التي أرخت لهذا الانتصار وذهب بها إلي قرية شرشابة بطنطا حيث إقامة نجيب الكيلاني الذي تفرغ لكتابة رواية "رمضان حبيبي" خلال أسابيع معدودة.. وطبعت الرواية من خلال دار المختار الإسلامي وأحدثت دويا رائعا حتي إنها قررت علي تلاميذ المرحلة الابتدائية من قبل وزارة التربية والتعليم التي طبعت منها مئات الآلاف من النسخ فكان للمختار الإسلامي سبق نشر رواية "رمضان حبيبي" للروائي والأديب نجيب الكيلاني.. وتعتبر هذه الرواية أول عمل فني يعالج قضايا العالم الإسلامي ومشاكله المعاصرة وهي تستمد أحداثها من وقائع مثيرة ثابتة تاريخيا، صيغت في أسلوب قصصي شيق، يتميز بدقة التصوير، وقوة الحوار، وتماسك الحدث ويبرز المؤلف في تلك الرواية أثر العامل الديني في تكوين الرجال، وصنع البطولات، وتحقيق النصر، النصر الذي حاول الانتهازيون والملحدون أن ينسبوه عبثا لهم.وفي "رمضان حبيبي" يدور الحوار بين أحد الجنود وأحمد بطل الرواية ـ لماذا هزمنا في ٦٧ وكيف ننتصر اليوم ؟؟ يقول أحمد : ننتصر اليوم بطاعتنا لله.. والتكنولوجيا الحديثة.. والعلم.. والتدريب..

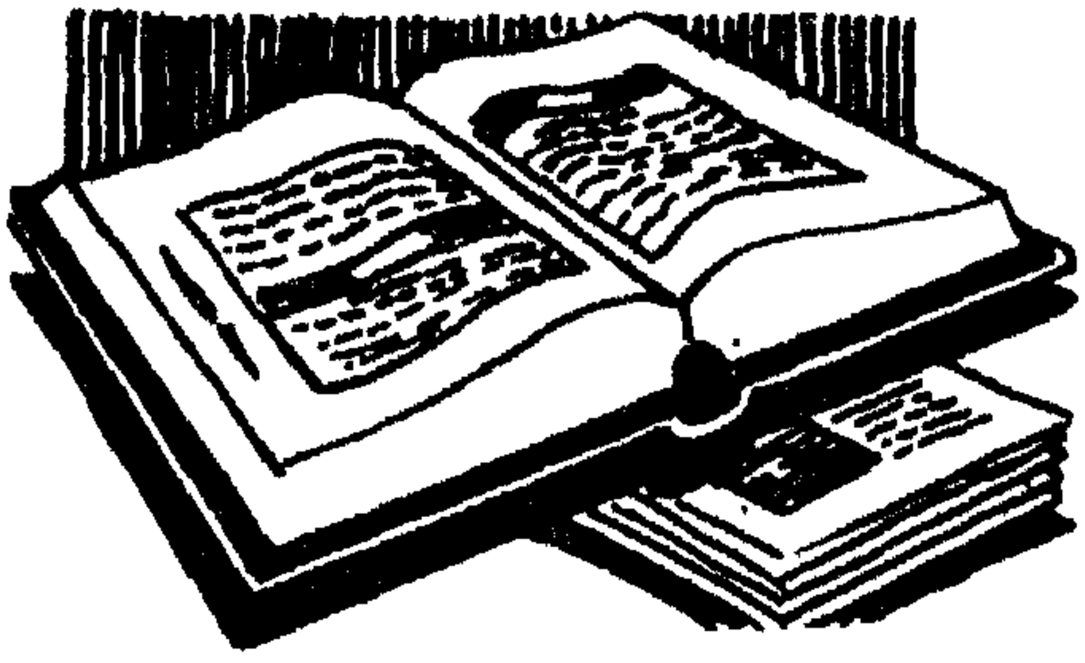

ما دور ذلك كله ؟ الذين يتعلمون العلـــم يعبدون الله.. والذين يبغون الحصون ويقـــودون الطائرات، ويطلقون الصواريـــخ أو يتدربـــون عليها.. هم أيضا يعبدون الله.. لابد أن يكـــون الله من وراء القصد.. وما النصر إلا من عنـــد الله.. وفي حوار آخر ــ كلما أمعنـــت النظـــر آمنت أن المعركة معركة إيمان.. والشعار الـــذي يجب أن يرفعه جنود الله شعار واحد: الله أكـــبر .. تأكدوا أن المعجزة ليست في سلاح جديـــد نحتاجه.. لكنها في الأيدي التي يحركها الإيمان .. في القلوب التي لاتخاف الموت.

ــ (إلهي أنت تعلم أنك وهبتنـــا الحيـــاة.. وهي لك.. ولن نضرب ضربة إلا في ســـبيلك، ولا نحارب إلا من أجل نصرة المبـــاديء الـــتي أمرتنا بها.. فخذنا إليك شهداء.. أو احفظ لنـــا حياتنا مؤمنين منتصرين شرفاء..).

ويقول الجندي أحمد عبد الفتـــاح: رأيـــت رسول الله في منامي يرفع سيفه ويسير أمامنـــا.. قلت له خذني معك يامحمد .. خـــذني معـــك ياحبيب الله.. كانت الملائكة ترفرف بأجنحتـــها البيضاء والآفاق كلها تردد .. "الله أكبر

ويشهد الأسير الإسرائيلي بأنه شهد جنـــودا يلبسون أردية بيضاء.. " ومايعلم جنود ربك إلا هو.."

ويمضي الكاتب بأسلوب رشيق يصف لنـــا أحداث المعركة ومعادن الرجال التي انصـــهرت بالحق وتمسكت بالكتاب والسنة مدافعـــة عـــن أرض الوطن وكرامته في حوارات بسيطة وسهلة لكنها عميقة تحمـــل رؤي إســـلامية للجـــهاد والحرب.. ويصف من خلال الأحداث الروائيـــة الفارق بين المعاملة الإسلامية للأسير والمعاملـــة الإسرائيلية للأسير المسلم ومدي الخيانة والحقـــد الصهيوني ويؤكد في روايته علي لسان الأبطـــال أنه قد انكشفت أكاذيب القيادات الإســـرائيلية وأجهزتها الإعلاميـــة وانهـــار خـــط بـــارليف، وتقهقرت الخطوط الدفاعية للعدو تحت ضغـــط وتقدم الجيش المصرى.. وثارت تساؤلات عـــدة عن تحليل وتفسير نتائج الحرب الســـابقة عـــام ١٩٦٧، وعاد المفكرون والمؤرخون يعيـــدون النظر في آراء كثيرة فى مجالات الحرب والسياسة والحضارة، وتألقت مرة أخري الشعارات الـــتي تقول: مصر مقبرة الغزاة، ولينصـــرن الله مـــن ينصره.

د. ليلى بيومى

الصراع بين القوة والحق

يعتمد بنيامين نيتانياهو في مفاوضاته مع الدول العربية عامة ومع السلطة الفلسطينية بصورة خاصة علي مقولة أن العرب لا يقنعون إلا بلغة القوة. ولكن التجربة أثبتت أن إسرائيل، وليس نيتانياهو وحده لا تعرف أى تفاوض إلا بلغة القوة.

ليس هذا المنطق إسرائيليا بالضرورة، ولكنه تعبير داروينى عن ظاهرة تفوق عنصر علي عنصر آخر فالتفوق أيا كانت وسائله وأدواته يعطي المتفوق القوي حق السيطرة علي الضعيف شخصا كان أو شعبا أو أمة، ذلك أن قاعدة البقاء للأقوي التي فلسفها داروين في القرن الماضي تتجاوز صراع الحيوان والنبات من أجل البقاء إلي الإنسان نفسه، بل إلي المجتمعات الإنسانية أيضا. والأمثلة علي ذلك في الماضي وفي الحاضر أكثر من أن تعد أو أن تحصي.

فالانجليز اعتمدوا هذه القاعدة في أرض الصومال في عام ١٩٠٧ عندما قمعوا بالقوة العسكرية حركة استقلالية محلية مدعين أن الهدف هو إعادة الناس هناك إلي صوابهم وتصحيح سلوكهم الذي يكشف عن مدي تأخرهم. كما اعتمدوها في التيبت في عام ١٩٠٤ عندما أبادوا قوة محلية من ثلاثمائة رجل بدائي بهدف تعليم أهالي التيبت الدرس واعتمدوها كذلك في الهند إلي أن أخرجوا منها في عام ١٩٤٧، وفي جنوب إفريقيا خلال ما يعرف بحرب البوير ١٨٩٩ ــ ١٩٠٢.

ومارس الإيطاليون هذه القاعدة في إثيوبيا, كما مارسوها في ليبيا في عام ١٩١١ عندما ارتكبوا هناك ما يعرف بمجزرة الواحة ومارسها الألمان النازيون قبل وخلال الحرب العالمية الثانية في ألمانيا نفسها، ثم في كل الانحاء الأوروبية التي أخضعوها لاحتلالهم ولسيطرتهم ومارس الأمريكيون ــ الانجلوساكسون ــ هذه القاعدة في الولايات المتحدة حيث أبادوا الهنود الحمر سكان البلاد الأصليين عن بكرة أبيهم. ومارسوها كذلك في مناطق تمتد من أمريكا الوسطي حتي الفليبين.

والتزاما بمقتضيات هذه القاعدة الداروينية فإن الولايات المتحدة التي كانت تحتل المرتبة ١٩ بين جيوش العالم لدي نشوب الحرب العالمية الثانية، أصبحت اليوم تملك قوة عسكرية أكبر مما تملكه الدول الصناعية

الكبري (فرنسا ـ بريطانيا ـ ألمانيا ـ إيطاليا ـ كندا ـ اليابان) مجتمعة. كان للولايات المتحدة في عام ١٩٣٩ عندما غزا هتلر بولندا ثلاثة الوية عسكرية فقط وكانت حتي البرتغال تتقدم عليها من حيث حجم القوة العسكرية. أما الآن فإن قوتها النووية والهيدروجينية قادرة علي قتل كل إنسان علي سطح الأرض أكثر من خمس مرات.

إن الاعتقاد بأن البقاء للأقوي، يشكل الدافع وراء تضخم القوة الأمريكية للهيمنة علي العالم وهو بالتأكيد الدافع وراء تضخم القوة الإسرائيلية للهيمنة علي الشرق الأوسط وكما تحاول الولايات المتحدة إضعاف الدول الأخري حتي تتمكن من بسط نفوذها كذلك فإن إسرائيل تعمل جاهدة علي قطع الطريق أمام امتلاك أي دولة عربية أو إسلامية الأسلحة الحديثة أو المعرفة العلمية التي تمكنها من إنتاج أسلحة حديثة. وبذلك تصبح إسرائيل بما تملكه من سلاح نووي وجرثومي وكيماوي، قادرة علي أن تبلغ من القوة ما يمكنها من اعتماد قاعدة البقاء للأقوي ، بما تعطيه من إلغاء للآخر.

هذا يعني أن إسرائيل لاتريد ـ وهي لا تؤمن أساسا بقاعدة البقاء الذي يصونه السلام وتحرسه العدالة ـ السلام والعدالة غاية ولا حتي وسيلة، فهي لا تجيد سوى استخدام القوة إيمانا منها بأن القوة هي الأداة الوحيدة للبقاء وللحفاظ علي النوع وسط بيئة معادية.

إن جدلية العلاقة بين الحق والقوة ليست جديدة، فالقوة قد تصنع حقا، كما فعلت إسرائيل في أرض فلسطين، وكما فعلت الولايات المتحدة في معظم ولاياتها الجنوبية، بما في ذلك ولاية كاليفورنيا، ولكن الحق أيضا يصنع القوة. كما فعلت الهند درة التاج البريطاني عندما حصلت من بريطانيا علي الاستقلال، وكما فعلت فيتنام عندما ألحقت الهزيمة بالقوات الأمريكية، أو كما فعلت الجزائر عندما اضطرت فرنسا إلي التوقف عن اعتبارها أرضا فرنسية ومن ثم إلي الاعتراف بها دولة مستقلة.

بالقوة صنع الصليبيون حقا لهم في القدس. وبالحق صنع المسلمون قوة طردت الصليبيين من القدس.

إن الصراع بين القوة التي تصنع حقا علي القاعدة الداروينية، والحق الذي يصنع قوة علي القاعدة الإنسانية، هو صراع أزلي وأبدي معا. بدأ بين قابيل وهابيل ولن ينتهي بين أحفاد اسحق وإسماعيل.

محمد السماك

المختار الإسلامي

مجلة كل المسلمين

أسسها : حسين عاشور

(١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)

تصدر في منتصف كل شهر عربي

رقم الإيداع ٦٠٧٠ / ١٩٧٩

المشرف العام

حسين عاشور

رئيس التحرير

د . محمد مورو

المراسلات :

١٥ شارع شهاب - المهندسين

القاهرة ص ب ١٧٠٧

الرمز البريدي ١١٥١١

تليفون ٣٤٩٠٤١١

فاكس ٣٤٩٠٤١١

الاشتراك السنوي داخل مصر ٣٠

جنيها الاشتراك الخارجي ٣٠ دولارا

أمريكيا

المراسلات والشيكات والحوالات

باسم / حسين أحمد عيسى عاشور

كلمة المحرر

هل أصبحت مصر مرتعا خصبا لكل وافد وكل ثقافة، إننا من حيث المبدأ لسنا ضد تعدد الثقافات، ووسائل الاتصال الحديثة من انترنت وفاكس وقنوات فضائية لم تعد تسمح بالتفكير في الاختيار.

ولكن أن يصل الأمر إلي إقامة جامعات أجنبية علي أرضه فهذا هو المرفوض، لأن الجامعة تعني لوبي ثقافي واجتماعي وكفاحا مايحدث في الجامعة الأمريكية، فهل نضيف إليها واحدة أخري فرنسية.

والأعجب أن رجال الأعمال الإنجليز، بالاشتراك مع مايسمي مجلس الأعمال المصري البريطاني الذي يضم رجال أعمال مصريين، يفكر الآن في إقامة جامعة بريطانية علي أرض مصر علي غرار الجامعة الأمريكية والجامعة الفرنسية.

ونسأل الله ألا نستيقظ يوما علي جامعة إسرائيلية.[1]

صدر حديثا

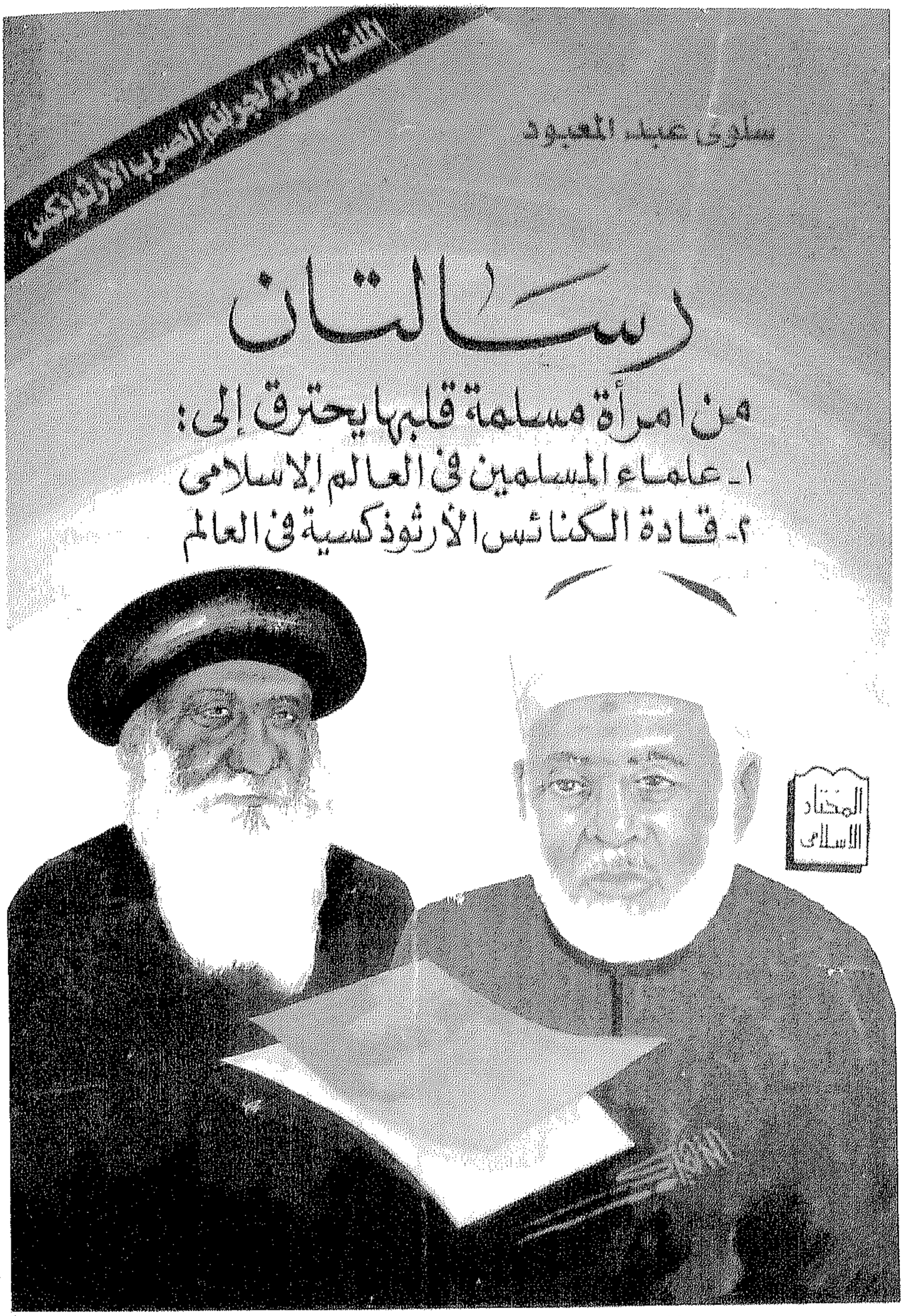
سلسلة كتب المختار
رسالتان
من امرأة مسلمة قلبها يحترق إلى:
١- علماء المسلمين في العالم الإسلامي
٢- قادة الكنائس الأرثوذكسية في العالم
المختار الإسلامي

مع الباعة والمكتبات ودار المختار الإسلامى

١٥ شارع شهاب - المهندسين - تليفون وفاكس ٣٤٩٠٤١١

ص ب ١٧٠٧ القاهرة - الرمز البريدى ١١٥١١

الثمن ٨ جنيهات - وللجملة سعر خاص